(سورة البقرة)

{ الم}

{ الم * ذلك الكتاب } أشار بهذه الحروف الثلاثة إلى كلّ الوجود من حيث هو كلّ لأن (أ) إشارة إلى ذات الذي هو أوّل الوجود على ما مرّ. و (ل) إلى العقل الفعّال المسمّى جبريل، وهو أوسط الوجود الذي يستفيض من المبدأ ويفيض إلى المنتهى. و (م) إلى محمد الذي هو آخر الوجود تتمّ به دائرته وتتصل بأوّلها، ولهذا ختم وقال: « إنّ الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والأرض « وعن بعض السلف أن (ل) ركبت من ألفين، أي: وضعت بإزاء الذات مع صفة العلم اللذين هما عالمان من العوالم الثلاثة الإلهية التي أشرنا إليها، فهو اسم من أسماء الله تعالى، إذ كل اسم هو عبارة عن الذات مع صفة ما. وأمّا (م) فهي إشارة إلى الذات مع جميع الصفات والأفعال التي احتجبت بها في الصورة المحمدية التي هي اسم الله الأعظم, بحيث لا يعرفها إلا من يعرفها. ألا تدري أن (م) التي هي صورة الذات كيف احتجب فيها، فإن الميم فيها الياء، وفي الياء ألف.

والسرّ في وضع حروف التهجيّ هو أن لا حرف إلا وفيه ألف، ويقرب من هذا قول من قال: معناه القسم بالله العليم الحكيم، إذ جبريل مظهر العلم، فهو اسمه العليم. ومحمد مظهر الحكمة، فهو اسمه الحكيم.

ومن هذا ظهر معنى قول من قال:

تحت كلّ اسم من أسمائه تعالى أسماء بغير نهاية.

والعلم لا يتمّ ولا يكمل إلا إذا قرن بالفعل في عالم الحكمة الذي هو عالم الأسباب والمسببات، فيصير حكمة. ومن ثم لا يحصل الإسلام بمجرّد قول: لا إله إلا الله، إلا إذا قُرِنَ: بمحمد رسول الله.

فمعنى الآية { الم * ذلك الكتاب } الموعود، أي: صورة الكلّ المومى إليها بكتاب الجفر والجامعة المشتملة على كل شيء، الموعود بأنه يكون مع المهدي في آخر الزمان لا يقرأه كما هو بالحقيقة إلا هو، والجفر لوح القضاء الذي هو

عقل الكلّ والجامعة لوح القدر الذي هو نفس الكلّ، فمعنى كتاب الجفر والجامعة: المحتويان على كلّ ما كان ويكون، كقولك سورة (البقرة) وسورة (النمل). { ذَلِكَ ٱلْكِتَابُ لاَ رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ } { لا ريْبَ فيه } عند التحقيق بأنه الحق، وعلى تقدير القول معناه بالحق الذي هو الكلّ من حيث هو كلّ لأنه مبين لذلك الكتاب الموعود على ألسنة الأنبياء وفي كتبهم بأنه سيأتي كما قال عيسى عليه السلام: « نحن نأتيكم بالتنزيل، وأما التأويل فسيأتي به المهديّ في آخر الزمان «. وحذف جواب القسم لدلالة ذلك الكتاب عليه، كما حذف في غير موضع من القرآن مثل (والشمس) (والنازعات) وغير ذلك. أي إنّا منزلون لذلك الكتاب الموعود في التوراة والإنجيل بأن يكون مع محمد حذف لدلالة قوله: { ذلك الكتاب } عليه أي: ذلك الكتاب المعلوم في العلم السابق، الموعود في التوراة والإنجيل حق بحيث لا مجال للريب فيه. { هُدًى للمُتقينَ } أي هدى في نفسه للذين يتقون الرذائل والحجب المانعة لقبول الحق فيه. واعلم أن الناس بحسب العاقبة سبعة أصناف لأنهم: إمّا سعداء، وإمّا أشقياء. قال الله تعالى:

{ فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ }[هود، الآية: ١٠٥]،

والأشقياء أصحاب الشمال، والسعداء إمّا أصحاب اليمين، وإمّا السابقون المقرّبون قال الله تعالى:{وَكُنتُمْ أَزْوَاجاً ثَلاَثَةً }[الواقعة، الآية: ٧] الآية. وأصحاب الشمال إمّا المطرودون الذين حقّ عليهم القول وهم أهل الظلمة والحجاب الكلي المختوم على قلوبهم أزلاً، كما قال تعالى:

{ وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيراً مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلإِنْسِ }[الأعراف، الآية: ١٧٩] إلى آخر الآية. وفي الحديث الربانيّ: « هؤلاء خلقتهم للنار ولا أبالي « وأما المنافقون الذين كانوا مستعدّين في الأصل، قابلين للتنوّر بحسب الفطرة والنشأة، ولكن احتجبت قلوبهم بالرين المستفاد من اكتساب الرذائل وارتكاب المعاصي، ومباشرة الأعمال البهيمية، والسبعية، ومزاولة المكايد الشيطانية، حتى رسخت الهيئات الفاسقة والملكات المظلمة في نفوسهم، وارتكمت على أفئدتهم فبقوا شاكين حيارى تائهين، قد حبطت أعمالهم، وانتكست رؤوسهم فهم أشدّ

عذاباً وأسوأ حالاً من الفريق الأول لمنافاة مسكة استعدادهم لحالهم.

والفريقان هم أهل الدنيا وأصحاب اليمين.

أما أهل الفضل والثواب، الذين آمنوا وعملوا الصالحات للجنة راجين لها، راضين بها، فوجدوا ما عملوا حاضراً على تفاوت درجاتهم، ولكلّ درجات مما عملوا. ومنهم أهل الرحمة الباقون على سلامة نفوسهم، وصفاء قلوبهم، المتبوئون درجات الجنة على حسب استعداداتهم من فضل ربهم، لا على حسب كمالاتهم من ميراث عملهم. وأما أهل العفو الذين خلطوا عملاً صالحاً وآخر سيئاً، وهم قسمان: المعفوّ عنهم رأساً لقوة اعتقادهم، وعدم رسوخ سيئاتهم لقلّة مزاولتهم إياها، أو لمكان توبتهم عنها. فأولئك يبدّل الله سيئاتهم حسنات، والمعذبون حيناً بحسب ما رسخ فيهم من المعاصي حتى خلصوا عن درن ما كسبوا، فنجوا وهم أهل العدل والعقاب، والذين ظلموا من هؤلاء سيصيبهم سيئات ما كسبوا. لكن الرحمة تتداركهم وثلاثتهم أهل الآخرة. والسابقون إمّا محبون وإمّا محبوبون، فالمحبون هم الذين جاهدوا في الله حقّ جهاده، وأنابوا إليه حقّ إنابته، فهداهم سبله.

{ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلٰوةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ } { وَٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنْزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِٱلآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ } { أُوْلَـٰئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ وَأُوْلَـٰئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ }

{ الذين يُؤمنونَ بالغَيبِ ويقيمُونَ الصلاةَ } أي: بما غاب عنهم الإيمان التقليديّ، أو التحقيقيّ العلميّ، فإنّ الإيمان قسمان: تقليديّ وتحقيقيّ. والتحقيقيّ قسمان: استدلالي وكشفيّ، وكلاهما إمّا واقف على حدّ العلم والغيب، وإما غير واقف. والأول هو الإيقان المسمّى علم اليقين. والثاني: إمّا عيني، وهو المشاهدة المسمى عين اليقين، وإما حقيّ، وهو الشهود الذاتي المسمّى حق اليقين. والقسمان الأخيران لا يدخلان تحت الإيمان بالغيب، والإيمان بالغيب يستلزم الأعمال القلبية التي هي التزكية، وهي تطهير القلب عن الميل إلى السعادات البدنية الخارجية، الشاغلة عن إحراز السعادة الباقية. فإن السعادات ثلاث: قلبية، وبدنية، وما حول البدن. فالقلبية هي المعارف، والحكم، والكمالات العلمية والعملية الخلقية. والبدنية

هي الصحة والقوّة واللّذات الجسمانية والشهوات الطبيعية. وما حول البدن هي الأموال والأسباب، كما قال أمير المؤمنين عليه السلام: « ألا وإنّ من النعم سعة المال، وأفضل من سعة المال صحة الجسد، وتقوى القلب
«. ويجب الاحتراز عن الأوليين لإحراز الأخيرة المطلوبة بالزهد والعبادة.
فإقامة الصلاة ترك الراحات البدنية وإتعاب الآلات الجسدية، وهي أمّ العبادات التي إذا وجدت لم يتأخر عنها البواقي
{ إِنَّ ٱلصَّلَاةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنْكَر }
[العنكبوت، الآية: ٤٥] إذ هي تحامل على البدن والنفس، ومشقة فادحة عليهما، وإنفاق المال هو الإعراض عن السعادة الخارجية المحبوبة إلى النفس المسمّى بالزهد، فإن الإنفاق ربما كان أشدّ عليها من بذل الروح للزوم الشحّ إياها، ولم يكتف بالقدر الواجب فقال:
{ ومما رزقناهم ينفقون } ليعتاد القلب ترك الفضول المالية بالجود والسخاء وبذل المال، في وجوه المروّات، والهبات، والصدقات الغير الواجبة، فيوقي شحّ نفسه، وخصص الإنفاق بالبعض بإيراد من التبعيضية لئلا يقع في رذيلة التبذير ببذل القدر الضروري فيحرم فضيلة الجود الذي هو من باب التخلق بأخلاق الله.
{ والذين يؤمنون بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك } أي: الإيمان التحقيقيّ الشامل للأقسام الثلاثة المستلزم للأعمال القلبية التي هي التحلية، وهي تفرّس القلب بالحكم والمعارف المنزّلة في الكتب الإلهية والعلوم المتعلقة بأحوال المعاد، وأمور الآخرة، وحقائق علم القدس. ولهذا قال: { وبالآخرة هم يوقنون } وأهل الآخرة الذين ما جاوزوا حدّ التزكية، ولم يصلوا إلى التحلية التي هي ميراثها، لقوله عليه السلام: « من عمل بما علم ورّثه الله علم ما لم يعلم
« وأهل الله الموقنون الجامعون لها كلهم على هدى من ربهم إمّا إليه وإما إلى داره، دار السلامة والفضل والثواب واللطف، وهم أهل الفلاح لا غير إما من العقاب وإما من الحجاب ولهذا قال: { أولئك } أي: الموصوفون بهذه الصفات المذكورة من التزكية والتحلية. { على هدى من ربهم وأولئك هم المفلحون } لأجلها، فعلى هذا الذين يؤمنون مبتدأ، والذين يؤمنون الثاني معطوف عليه، وأولئك خبره، ولو جعل صفة للمتقين لكان المراد بهم الكاملين في التقوى بعد

الهداية. وكان مجازاً من باب تسمية الشيء بما سيؤول إليه.

{ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنْذِرْهُمْ لاَ يُؤْمِنُونَ }
{ خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ وَعَلَىٰ أَبْصَٰرِهِمْ غِشَاوَةٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ عظِيمٌ }
{ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ آمَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلْيَوْمِ ٱلآخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ } { يُخَادِعُونَ ٱللَّهَ وَٱلَّذِينَ آمَنُوا وَمَا يَخْدَعُونَ إِلاَّ أَنْفُسَهُم وَمَا يَشْعُرُونَ }

{ إن الذين كفروا } - إلى قوله - { عظيم } هم الفريق الأول من الأشقياء الذين هم أهل القهر الإلهي لا ينجح فيهم الإنذار ولا سبيل إلى خلاصهم من النار، أولئك حقّت عليهم كلمة ربّك أنهم لا يؤمنون، وكذلك حقّت كلمة ربك على الذين كفروا أنهم أصحاب النار، سدّت عليهم الطرق، وأغلقت عليهم الأبواب، إذ القلب هو المشعر الإلهيّ الذي هو محلّ الإلهام، فحجبوا عنه بختمه. والسمع والبصر هما المشعران الأنسيان، أي الظاهران اللذان هما بابا الفهم والاعتبار، فحرموا عن جدواهما لامتناع نفوذ المعنى فيهما إلى القلب، فلا سبيل لهم في الباطن إلى العلم الذوقيّ الكشفيّ ولا في الظاهر إلى العلم التعلميّ والكسبيّ، فحبسوا في سجون الظلمات، فما أعظم عذابهم.

{ ومن الناس من يقول آمنا } هم الفريق الثاني من الأشقياء، سُلِبَ عنهم الإيمان مع ادّعائهم له بقولهم { آمنا بالله } لأنّ محلّ الإيمان هو القلب لا اللسان.

{ قَالَتِ ٱلأَعْرَابُ آمَنَّا قُل لَّمْ تُؤْمِنُواْ وَلَـٰكِن قُولُوٓاْ أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ ٱلإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ }

[الحجرات، الآية: ١٤].

ومعنى قولهم: { آمنا بالله وباليوم الآخرِ } ادّعاء على التوحيد والمعاد اللذين هما أصل الدين- وأساسه أي لسنا من المشركين المحجوبين عن الحق ولا من أهل الكتاب المحجوزين عن الدين والمعاد، لأن اعتقاد أهل الكتاب في باب المعاد ليس مطابقاً للحق. واعلم أن الكفر هو الاحتجاب، والحجاب إما عن الحق كما للمشركين وإمّا عن الدين كما لأهل الكتاب، والمحجوب عن الحق محجوب عن الدين الذي هو طريق الوصول إليه ضرورة، وأما المحجوب عن الدين فقد لا يحجب عن الحق، فهؤلاء ادّعوا رفع الحجابين معاً فكذبوا بسلب

الإيمان عن ذواتهم، أي ليسوا بمؤمنين ما داموا إياهم يخادعون. والمخادعة استعمال الخدع من الجانبين، وهو إظهار الخير واستبطان الشرّ. ومخادعة الله مخادعة رسوله صلى الله عليه وسلم لقوله:

{ مَّنْ يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ }[النساء، الآية: ٨٠]، وقوله تعالى:

{ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَـٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ }[الأنفال، الآية: ١٧] ولأنه حبيبه.

وقد ورد في الحديث: « لا يزال العبد يتقرّب إليّ بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي به يسمع، وبصره الذي به يبصر، ولسانه الذي به يتكلم، ويده التي بها يبطش، ورجله التي بها يمشي « فخداعهم لله وللمؤمنين إظهار الإيمان والمحبة، واستبطان الكفر والعداوة، وخداع الله والمؤمنين إياهم مسالمتهم وإجراء أحكام الإسلام عليهم بحقن الدماء وحصن الأموال وغير ذلك، وادّخار العذاب الأليم والمآل الوخيم، وسوء المغبة لهم وخزيهم في الدنيا لافتضاحهم بإخباره تعالى وبالوحي عن حالهم لكن الفرق بين الخداعين أنّ خداعهم لا ينجح إلا في أنفسهم بإهلاكها وتحسيرها وإيراثها الوبال والنكال بازدياد الظلمة والكفر والنفاق واجتماع أسباب الهلكة والبعد والشقاء عليها، وخداع الله يؤثر فيهم أبلغ تأثير ويوبقهم أشدّ إيباق، كقوله تعالى:

{ وَمَكَرُواْ وَمَكَرَ ٱللَّهُ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَاكِرِينَ }

[آل عمران، الآية: ٥٤] وهم من غاية تعمقهم في جهلهم

لا يحسون بذلك الأمر الظاهر.

{ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ مَرَضاً وَلَهُم عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ }

{ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لاَ تُفْسِدُواْ فِي ٱلأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ }

{ في قلوبِهِم مرضٌ } أي شك ونفاق تنكير المرض. وإيراد الجملة الظرفية إشارة إلى عروض المرض واستقراره ورسوخه فيها كما أشرنا إليه في التقسيم، وإلا لقال قلوبهم مرضى أو موتى. { فزادهم الله مرضاً } أي: آخر حقداً وحسداً وغلاً بإعلاء كلمة الدين، ونصرة الرسول والمؤمنين، والرذائل كلها أمراض القلوب لأنها أسباب ضعفها وآفتها في أفعالها الخاصة، وهلاكها في العاقبة. وفرق بين العذابين بالألم للمنافقين، والعظم للكافرين، لأن عذاب المطرودين في الأزل أعظم فلا يجدون

شدّة ألمه لعدم صفاء إدراك قلوبهم، كحال العضو الميت، أو المفلوج والخدل بالنسبة إلى ما يجري عليه من القطع والكيّ وغير ذلك من الآلام. وأما المنافقون فلثبوت استعدادهم في الأصل وبقاء إدراكهم يجدون شدّة الألم فلا جرم كان عذابهم مؤلماً مسبباً عن المرض العارض المزمن الذي هو الكذب ولواحقه.

وإذا نهوا عن الإفساد في الأرض، أي في الجهة السفلية التي هي النفوس وما يتعلق بها من المصالح بتكدير النفوس، وتهييج الفتن والحروب، والعداوة والبغضاء بين الناس، أنكروا وبالغوا في إثبات الإصلاح لأنفسهم، إذ يرون الصلاح في تحصيل المعاش وتيسير أسبابه، وتنظيم أمور الدنيا لأنفسهم خاصة، لتوغلهم في محبة الدنيا وانهماكهم في اللذات البدنية، واحتجابهم بالمنافع الجزئية، والملاذ الحسيّة عن المصالح العامة الكليّة، واللذات العقلية،

وبذلك يتيسر مرادهم، ويتسهل مطلوبهم وهم لا يحسون بإفسادهم المدرك بالحس. وإذا دعوا إلى الإيمان الحقيقي، كإيمان فقراء المسلمين والصعاليك المجرّدين، سفهوهم لمكان تركهم لحطام الدنيا وإعراضهم عن متاعها ولذاتها وطيباتها، لزهدهم الحقيقي. إذ قصارى همومهم، وقصوى مقاصد عقولهم الأسيرة في قيد الهوى المشوبة بالوهم، المؤدّية لهم إلى الردى هي تلك اللذات يعلمون ظاهراً من الحياة الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون، ولا يعلمون أن غاية السفه هو اختيار الفاني الأخس على الباقي الأشرف. وفرق بين الفاصلتين بالشعور والعلم،

لأنّ تأثير خداعهم في أنفسهم وإفسادهم في الأرض أمر بيّن كالمحسوس.

وأما ترجيح نعيم الآخرة على نعيم الدنيا المستلزم للفرق

بين السفه والحكمة فأمر استدلالي عقليّ صرف.

{ أَلا إِنَّهُمْ هُمُ ٱلْمُفْسِدُونَ وَلَـٰكِن لاَّ يَشْعُرُونَ }

{ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُواْ كَمَآ آمَنَ ٱلنَّاسُ قَالُواْ أَنُؤْمِنُ كَمَآ آمَنَ ٱلسُّفَهَآءُ أَلا إِنَّهُمْ هُمُ ٱلسُّفَهَآءُ وَلَـٰكِن لاَّ يَعْلَمُونَ} { وَإِذَا لَقُواْ ٱلَّذِينَ آمَنُواْ قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْاْ إِلَىٰ شَيَاطِينِهِمْ قَالُوٓاْ إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ }

{ وإذا لقُوا الذينَ آمنُوا } حكاية لنفاقهم اللازم لحصول استعدادين فيهم الفطريّ النوريّ، الضعيف المغلوب، القريب من الانطفاء، الذي ناسبوا به المؤمنين، والكسبيّ

الظلماني القويّ الغالب الذي تألفوا به الكفار، إذ لو لم يكن فيهم أدنى نور لم يقدروا على مخالطة المؤمنين ومصاحبتهم أصلاً كغيرهم من الكفار لتنافي الضروري بين النور والظلمة من جميع الوجوه. والشيطان فيعال من الشطون، الذي هو البعد، وشياطينهم المتعمقون في البعد وهم المطرودون، ورؤساؤهم البالغون في النفاق واستهزاؤهم بالمؤمنين يدلّ على ضعف جهة النور وقوّة جهة الظلمة فيهم، إذ المستخف بالشيء هو الذي يجد ذلك الشيء في نفسه خفيفاً، قليل الوزن والقدر. فهم يستخفون النورانيين لخفة النور عندهم، إذ بالنور يعرف قدر النور، وبرجحان الظلمة فيهم أووا إلى الكفار وألفوهم.

{ ٱللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ }
{ أُوْلَـٰئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشْتَرَوُاْ ٱلضَّلَـٰلَةَ بِٱلْهُدَىٰ
فَمَا رَبِحَتْ تِّجَارَتُهُمْ وَمَا كَانُواْ مُهْتَدِينَ }

{ الله يستهزِئُ بِهِم } أي: يستخفهم، لأن الجهة التي هم بها ناسبوا الحضرة الإلهية فيهم خفيفة، ضعيفة. فبقدر ما فنيت فيهم الجهة الإلهية ثبتوا عند أنفسهم، كما أنّ المؤمنين بقدر ما فنيت فيهم أينيتهم النفسانية وجدوا عند الله شتان بين المرتبتين. { ويمدهُم } في ظلماتهم البهيمية والسبعية التي هي الصفات الشيطانية والنفسانية بتهيئة موادّها وأسبابها التي هي مشتهياتهم ومستلذاتهم وأموالهم ومعايشهم من الدنيا التي اختاروها بهواهم في حالة كونهم متحيرين. { في طغيانهم يعمَهُونَ } والعمه: عمى القلب. وطغيانهم: التعدّي عن حدّهم الذي كان ينبغي أن يكونوا عليه، وذلك الحدّ هو المصدر، أي وجه القلب الذي يلي النفس كما أن الفؤاد وجهه الذي يلي الروح، فإنه متوسط بينهما ذو وجهين إليهما. والوقوف على ذلك الحدّ هو التعبد بأوامر الله تعالى ونواهيه، مع التوجه إليه طلباً للتنوّر ليستنير ذلك الوجه فتتنوّر به النفس.

كما أنّ الوقوف على الحدّ الآخر هو تلقي المعارف والعلوم والحقائق والحِكَم والشرائع الإلهية ليتنقش بها الصدر، فتتزين به النفس. فالطغيان هو الانهماك في الصفات النفسانية البهيمية والسبعية والشيطانية واستيلاؤها على القلب ليسودّ ويعمى، فتتكدّر الروح.{ أولئكَ الذين اشْتَروا الضلالةَ بالهُدى }

أي: الظلمة، والاحتجاب عن طريق الحق الذي هو الدين، أو عن الحق.

فإنّ الضلالة تنقسم بإزاء الهداية بالنور الاستعداديّ الأصليّ. { فما ربِحت تجارتُهُم } إذ كان رأس مالهم من عالم النور والبقاء ليكتسبوا به ما يجانسه من النور الفيضيّ الكماليّ، بالعلوم والأعمال والحكم والمعارف والأخلاق والملكات الفاضلة، فيصيرون أغنياء في الحقيقة، مستحقين للقرب والكرامة والتعظيم والوجاهة عند الله، فما ربحوا بكسبها وضاعت الهداية الأصلية التي كانت بضاعتهم ورأس مالهم بإزالة استعدادهم وتكدير قلوبهم بالرين الموجب للحجاب والحرمان الأبديّ، فخسروا بالخسران السرمديّ، أعاذنا الله من ذلك.

{ مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ ٱلَّذِي ٱسْتَوْقَدَ نَاراً فَلَمَّآ أَضَآءَتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ ٱللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَٰتٍ لاَّ يُبْصِرُونَ }{ صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لاَ يَرْجِعُونَ }

{ مَثَلُهُم } أي: صفتهم في النفاق كصفة المستوقد للإضاءة الذي إذا أضاءت ما حوله من الأشياء القريبة منه خمدت ناره وبقي متحيّراً، لأن نور استعدادهم بمنزلة النار الموقدة، وإضاءتها لما حولهم هي اهتداؤهم إلى مصالح معاشهم القريبة منهم دون مصالح المعاد البعيدة بالنسبة إليهم وصحبة المؤمنين وموافقتهم في الظاهر وخمودها سريعاً انطفاء نورهم الاستعداديّ وسرعة زوال ما تمتّعوا به من دنياهم ووشك انقضائه.

{ ذهب الله بنُورِهم } الاستعداديّ بإمدادهم في الطغيان، وخلاهم محجوبين عن التوفيق في ظلمات صفات النفس { لا يبصرون } ببصر القلب، ووجه المخرج ولا ما ينفعهم من المعارف كمن تنطفئ ناره وهو في تيه بين أشغال وأسباب.

{ صمٌّ بكمٌ عُميٌ } بالحقيقة لاحتجاب قلوبهم عن نور العقل الذي به تسمع الحق وتنطق به، وتراه في الظاهر لعدم فوائدها، لانسداد الطرق من تلك المشاعر إلى القلب لمكان الحجاب، فلم يصل إليها نور القلب ليحتفظوا بفوائدها ولم ترد مدركاتها على القلب ليفهموا ويعتبروا. { فهم لا يرجعون } إلى الله لوجود السّدين المضروبين على قلوبهم المذكورين في قوله:

{ وَجَعَلْنَا مِن بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدّاً ومِنْ خَلْفِهِمْ سَدّاً} [يس، الآية: ٩].

وفائدة التشبيه تصوير المعقول بصورة المحسوس، ليتمثل في نفوس العامة. ثم

شبههم ثانياً بقوم أصابهم مطر فيه ظلمات ورعد وبرق، فالمطر هو نزول الوحي الإلهي ووصول إمداد الرحمة إليهم ببركة صحبة المؤمنين، وبقية استعدادهم مما يفيد قلوبهم أدنى لين، وحصول النِعَم الظاهرة لهم بموافقتهم في الظاهر.

{ أَوْ كَصَيِّبٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فِيهِ ظُلُمَٰتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ يَجْعَلُونَ أَصَٰبِعَهُمْ فِيٓ آذَانِهِم مِّنَ ٱلصَّوَٰعِقِ حَذَرَ ٱلْمَوْتِ وَٱللَّهُ مُحِيطٌۢ بِٱلْكَٰفِرِينَ }

{ يَكَادُ ٱلْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَٰرَهُمْ كُلَّمَآ أَضَآءَ لَهُم مَّشَوْاْ فِيهِ وَإِذَآ أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُواْ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَٰرِهِمْ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ }

والظلمات هي الصفات النفسانية، والشكوك الخيالية والوهمية، والوساوس الشيطانية مما تحيرهم وتوحشهم. والرعد هو التهديد الإلهيّ والوعيد القهريّ الوارد في القرآن والآيات والآثار المسموعة والمشاهدة مما يخوّفهم فيفيد أدنى انكسار لقلوبهم الطاغية وانهزام لنفوسهم الآبية. والبرق هو اللوامع النورية والتنبهات الروحية عند سماع الوعد وتذكير الآلاء والنعماء مما يطمعهم ويرجيهم، فيفيدهم أدنى شوق وميل إلى الإجابة.

ومعنى { يجعلون أصابعهم في آذانهم من الصواعق حَذَر الموت } يتشاغلون عن الفهم بالملاهي والملاعب عن سماع آيات الوعيد، ولكي لا ينجع فيهم فيقطعهم عن اللذات الطبيعية بهمّ الآخرة، إذ الانقطاع عن اللذات الحسيّة هو موتهم، والله قادر عليهم، قاطع إياهم عن تلك اللذات المألوفة بالموت الطبيعي، قدرة المحيط بالشيء الذي لا يفوته منه، فلا فائدة لحذرهم.

{ يكادُ البرقُ } أي: اللامع النوريّ { يخطَفُ أبصارَهُم }

أي: عقولهم المحجوبة بالنعاس عن نور الهداية والكشف، إذ العقل بصر القلب { كلما أضاء لهم مشوا فيه } أي: ترقوا وقربوا من قبول الحق والهدى،

{ وإذا أظلم عليهم قاموا } أي: ثبتوا على حيرتهم في ظلمتهم { ولو شاء الله لذهب بسمعهم وأبصارهم } لطمس أفهامهم وعقولهم، ومحا نور استعدادهم، كما للفريق الأول فلم يتأثروا بسماع الوحي أصلاً { إن الله على كلّ شيء قدير } الشيء الموجود الخارجيّ الواجب والممكن، والموجود الذهني الممكن والممتنع إذ اللاشيء هو المعدوم الصرف الذي ليس في الذهن ولا في الخارج، لكن تعلق

القدرة به خصصه بالممكن وأخرج عنه الواجب والممتنع بدليل العقل.
هذا آخر الكلام في الأصناف السبعة على سبيل الإجمال، وفصل بين فريقي الأشقياء وأوجز ذكر الفريق الأوّل وأعرض عنهم، إذ الكلام فيهم لا يجدي. وبالغ في ذكر الفريق الثاني، وذمّهم، وتعييرهم، وتقبيح صورة حالهم، وتهديدهم، وإبعادهم، وتهجين سيرهم، وعاداتهم لإمكان قبولهم للهداية وزوال مرضهم العارض، واشتعال نور قرائحهم بمدد التوفيق الإلهيّ عسى التقريع يكسر أعواد شكائمهم، والتوبيخ يقلع أصول رذائلهم، فتتزكى بواطنهم وتتنوّر قلوبهم بنور الإرادة، فيسلكوا طريق الحق. ولعل موادعة المؤمنين وملاطفتهم إياهم ومدجالستهم معهم، تستميل طباعهم فتهيج فيهم محبة مّا، وشوقاً تلين به قلوبهم إلى ذكر الله، وتنقاد به نفوسهم لأمر الله، فيتوبوا ويصلحوا كما قال الله تعالى:
{ إِنَّ ٱلْمُنَافِقِينَ فِي ٱلدَّرْكِ ٱلأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمْ نَصِيراً إِلاَّ ٱلَّذِينَ تَابُواْ وَأَصْلَحُواْ وَٱعْتَصَمُواْ بِٱللَّهِ وَأَخْلَصُواْ دِينَهُمْ لِلَّهِ فَأُوْلَـٰئِكَ مَعَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَسَوْفَ يُؤْتِ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَجْراً عَظِيماً } [النساء، الآيات: ١٤٥-١٤٦].

{ يَـٰأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُمْ
وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ }

{ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلأَرْضَ فِرَٰشاً وَٱلسَّمَاءَ بِنَآءً وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً
فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقاً لَّكُمْ فَلاَ تَجْعَلُواْ لِلَّهِ أَندَاداً وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ }

{ يا أيها الناسُ } ثم لما فرغ من ذكر السعداء والأشقياء، دعاهم إلى التوحيد. وأوّل مراتب التوحيد: توحيد الأفعال، فلهذا علّق العبودية بالربوبية ليستأنسوا برؤية النعمة، فيحبوه، كما قال: « خلقت الخلق وتحببت إليهم بالنِعَم « فيشكروه بإزائها، إذ العبادة شكر فلا تكون إلا في مقابلة النعمة، وخصص ربوبيته بهم ليخصوا عبادتهم به، وقصد رفع الحجاب الأول من الحجب الثلاثة التي هي حجب الأفعال والصفات والذات، ببيان تجلي الأفعال لأن الخلق في الثلاثة كلهم محجوبون عن الحق بالكون مطلقاً، فنسب إنشاءهم وإنشاء ما توقف عليه وجودهم من المبادئ والأسباب والشرائط كمن قبلهم من الآباء والأمهات، وجعل الأرض فراشاً لهم لتكون مقرّهم ومسكنهم، وجعل السماء بناء

لتظلهم، وأنزل الماء من السماء وأخرج النبات به من الأرض ليكون رزقاً لهم إلى نفسه لعلهم يتقون نسبة الفعل إلى غيره، فيتنزهون عن الشرك في الأفعال عند مشاهدة جميعها من الله، ولهذا ذكر نتيجة هذه المقدّمات بالفاء فقال: { فلا تجعلوا لله أنداداً وأنتم تعلمون } ،

ما ذكرنا من المقدمات كأنه قال: هو الذي فعل هذه الأفعال، فلا تحق العبادة إلا له، ولا تنبغي أن تجعل لغيره، فلا تجعلوا له ندّاً بنسبة الفعل إليه، فيستحق أن يعبد عندكم فتعبدوه مع علمكم بهذا. فعبادتهم إنما هي للصانع، وربهم هو المتجلّي في صورة الصنع، إذ كل عابد لا يعبد إلا ما يعرفه، ولا يعرف الله إلا بقدر ما وجد من الألوهية في نفسه، وهم ما وجدوا إلا الفاعل المختار فعبدوه. وغاية هذه العبادة الوصول إلى الجنّة التي هي كمال عالم الأفعال، فالله مهد لهم أراضي نفوسهم، وبنى عليها سموات أرواحهم، وأنزل من تلك السموات ماء علم توحيد الأفعال، فأخرج به من تلك الأرض نبات الاستسلام والأعمال والطاعات والأخلاق الحسنة ليرزق قلوبهم منها ثمرات الإيقان والأحوال والمقامات، كالصبر والشكر والتوكل.

ولما أثبت التوحيد، استدل على إثبات النبوّة ليصح بهما الإسلام، فإنه لا يصح إلا بشهادتين لأن مجرّد التوحيد هو الاحتجاب بالجمع عن التفصيل وهو محض الجبر المؤديّ إلى الزندقة والإباحة، ومجرّد إسناد الفعل والقول إلى الرسول، احتجاب بالتفصيل عن الجمع الذي هو صرف القدر المؤدّي إلى المجوسية والثنوية، والإسلام طريق بينهما بالجمع بين قولنا: لا إله إلا الله، وبين قولنا: محمد رسول الله، واعتقاد مظهريته لأفعاله تعالى. فإن أفعال الخلق بالنسبة إلى أفعال الحق كالجسد بالنسبة إلى الروح، فكما أن مصدر الفعل هو الروح ولا يتم إلا بالجسد، فكذلك مبدئ الفعل هو الحق ولا يظهر إلا بالخلق. ولا بدّ من الرسالة لأن الخلق بسبب احتجابهم وبعدهم عن الحق لا يمكنهم تلقي المعارف من ربهم، فيجب وجود واسطة يجانس بروحه الشاهدة للحق الحضرة الإلهية، وبنفسه المخالطة للخلق الرتبة البشرية، ليتلقى قلبه من روحه الكلمات الربانية، ويلقي إلى نفسه القدسية، ويقبل منه الخلق برابطة الجنسية فقال:.

{ وَإِن كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُواْ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِه وَٱدْعُواْ شُهَدَآءَكُم

مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَٰدِقِينَ }{ وإن كنتم في ريب مما نزلنا }

أي: في تنزيلنا على محمد فتشكوا في حقية نبوّته، فروزوا قواكم البشرية، وأحرزوا عقولكم المحتنكة بالقياس، المحجوبة عن نور الهداية، وأفكاركم الدريّة بتركيب الكلام ونظم المعاني، وأنتم ومن حضركم من أبناء جنسكم، هل تقدرون على الإتيان بسورة أي: طائفة من الكلام مثله { إن كنتم صادقين } في نسبته إلى محمد.

{ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُواْ وَلَن تَفْعَلُواْ فَٱتَّقُواْ ٱلنَّارَ ٱلَّتِي وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَٰفِرِينَ }

{ فإن لم تفعلوا } فاذعنوا وأسلموا وآمنوا، واتركوا العناد المفضي بكم إلى النار. فحذف الملزوم الذي هو الإيمان أو الإسلام، وأقام لازمه الذي هو اتقاء النار مقامه ليكون أدلّ على أن الإنكار موجب لدخول النار وحصول العذاب لهم. وقوله: { ولن تفعلوا } اعتراض على طريق الإخبار بالغيب للعلم بامتناع عقول المحجوبين عن مثله. والمراد بالنار احتراقهم بثورة نفوسهم، وشرر طباعهم المصروفة عن الروح القدسيّ الروحانيّ، والنسيم الذوقيّ الرحمانيّ، المحرومة عن لذّة برد اليقين، وسلامة دار القرار المقطوعة بالمألوفات الحسيّة، واللذات البدنيّة الممنوعة، بما ضربت به وألفته مع بقاء حنينها إليه وولهها، ورسوخ هيئات التعلّق بالأمور السفليّة، ومحبة الأجساد الأرضية فيها التي هي سبب استيقاد نيرانها، ولهذا قال: { وقُودُها الناسُ والحجارةُ } أي: الأمور الجاسية، السفلية، الصامتة، التي تعلقوا بها بالمحبة فرسخت صورتها في أنفسهم، وسجنت نفوسهم بميلهم إليها، كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « المرء يحشر مع من أحبّ حتى لو أحبّ أحدكم حجراً حشر معه » ، وكيف لا، وقد ركزت صورته في نفسه بالمحبة بحيث صار صورة قلبه صورته.

واعلم أن حرارة النار تابعة لصورتها النوعية التي هي روحانيتها وملكوتها، وإلا ساوت سائر الأجسام في خواصها، وتلك الروحانية شرر من نار، قهر الله المعنوية بعد تنزلها في مراتب كثيرة كتنزلها في مرتبة النفس بثورة الغضب، إذ ربما تؤثر ثورة الغضب في إحراق الأخلاق ما لا تؤثر النار في الحطب. ومن هذا يعلم أن كل مسخن لا يجب أن يكون حارّاً. وإذا كانت النار الجسمانية أثراً

للنار الروحانية، فلا جرم أنّ إيلامها أشدّ وأدوم من إيلام هذه النار، كيف وكل قوّة جسمانية متناهية دون القوى الروحانية؟، ولهذا المعنى يقال: إن نار جهنم غسلت بالماء سبعين مرّة، ثم أنزلت إلى الدنيا ليمكن الانتفاع بها { أُعِدت للكافرينَ } المحجوبين عن الدين لانقطاعهم دون مرادهم.

{ وَبَشِّرِ ٱلَّذِين آمَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّـٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلأَنْهَٰرُ كُلَّمَا رُزِقُواْ مِنْهَا مِن ثَمَرَةٍ رِّزْقاً قَالُواْ هَـٰذَا ٱلَّذِي رُزِقْنَا مِن قَبْلُ وَأُتُواْ بِهِ مُتَشَٰبِهاً وَلَهُمْ فِيهَآ أَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَهُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ }

{ إِنَّ ٱللَّهَ لاَ يَسْتَحْى أَن يَضْرِبَ مَثَلاً مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا فَأَمَّا ٱلَّذِينَ آمَنُواْ فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَيَقُولُونَ مَاذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِهَـٰذَا مَثَلاً يُضِلُّ بِهِ كَثِيراً وَيَهْدِي بِهِ كَثِيراً وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلاَّ ٱلْفَٰسِقِينَ }

{ وبشر الذينَ آمنُوا } بالصانع وعملوا ما يصلحهم للجنة بمقتضى عملهم بتوحيد الأفعال أن لهم مراداتهم ومشتهياتهم فوق ما تصوّروا وتمنوا، التنكير الجنات، والجنات الجارية من تحتها الأنهار أبهى وأطيب ما يكون من مقام، وألذّ وأحلى ما يكون من مرام لأهل الدنيا، فهي لنفوسهم من جنس جنات الدنيا، وأصفى منها بحسب المعاد الجسمانيّ، فإنه حق كما ستعلم.

{ كلما رُزِقُوا منها من ثمرةٍ رِزْقاً قالوا هذا الذي رُزِقْنَا من قبل } في الدنيا، فإنها مألوفة { وأُتُوا } بالرزق { مُتَشابهاً } ولقلوبهم هي مقاماتهم، كالتوكل مثلاً، وروضات عالم القدوس التي تنشأ من كل مرتبة منها أنهار علوم تنفع السالكين، وتنفع علّة المتعطشين المشتاقين. والثمرات هي الحكم والمعارف، وقولهم:

{ هذا الذي رُزِقنا من قبلُ } إشارة إلى أن تلك العلوم والحكم كانت ثابتة للقلب حالة التجرّد، فاحتجبت عنها بالتوغل في الأمور الطبيعية عند التعلق فنسيتها، ثم تذكرت حين تجرّدت عن ملابسها لقوله عليه الصلاة والسلام: « الحكمة ضالة المؤمن » والأزواج لنفوسهم الحور العين المطهرّة عن الطمث والفواحش، ولقلوبهم النفوس القدسيّة المطهرّة عن دنس الطبائع وكدر العناصر، ولا جنة لأرواحهم

لاحتجابهم عن المشاهدة{ إن الله لا يَسْتَحِي } لا يمتنع امتناع المستحيي { أن يضرب مثلاً مّا بعوضة فما فوقها } إذ الكافر عنده أحقر من بعوضة، والدنيا من جناحها، كما نطق به الحديث. { أنه الحقّ من ربهم } لمناسبة الممثل به الممثل له { وما يضل به إلا الفاسقِينَ } الذين خرجوا من مقام القلب إلى مقام النفس، ومن طاعة الرحمن إلى طاعة الرحمن الشيطان. وهم الفريق الثاني من الأشقياء لا الفريق الأول، فإنهم ضالون في نفس الأمر على أيّ حال كان لا به ولا بسبب آخر. وإضلالهم به مسبّب عن فسقهم في الحقيقة، إذ ترتيب الحكم على الوصف يشعر بالعليّة وهي زيادة عنادهم وإنكارهم وحقدهم وغلبة صفات نفوسهم على قلوبهم بورود القرآن فيزيدهم بعداً وظلمة على ظلمة.

{ ٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ ٱللَّهِ مِن بَعْدِ مِيثَٰقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي ٱلْأَرْضِ أُولَٰئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ }

{ الذين يَنقُضُونَ عهد الله من بعد ميثاقِهِ } هو الذي أشار إليه في قوله:

{ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي آدَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُواْ بَلَىٰ } [الأعراف، الآية: ١٧٢].

وقد ورد في الحديث: « أن الله تعالى مسح ظهر آدم بيده وأخرج ذريّته منه كهيئة الذرّ « .. الحديث. فيد الله هو العقل الأقدس، والروح الأول الذي هو روح العالم المسمّى يمين الرحمن، وآدم هو النفس الناطقة الكلية التي هي قلب العالم. ومسحه ظهره تأثير العقل فيها وتنويره إياها بنوره بالاتصال الروحاني،

وإخراج ذريّته منه إيجاد النفوس الشخصية الجزئية التي كانت فيها بالقوّة، وإخراجها إلى الفعل. وعهد الله إليهم بقوله: { أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ } إيداع علم التوحيد في ذواتهم وميثاق ذلك العهد ركز أدلة التوحيد في عقولهم وإلزام ذلك العلم إياهم وجعله من اللوازم الذاتية لهم، بحيث إذا تجرّدوا عن الصفات النفسانية والغواشي الجسمانية تبين لهم ذلك، وانكشف عليهم أظهر شيء وأبينه وهو إشهادهم على أنفسهم لكون ذلك العلم ضرورياً حينئذ، وإجابتهم لذلك بقولهم: { بَلَىٰ } قبولهم الذاتيّ له، ونقض ذلك العهد انهماكهم في اللذات البدنية

والغواشي الطبيعية وتعبدهم لهواهم وشهواتهم، بحيث احتجبوا بها عن وحدة الله وتعبده، وقطعهم ما أمر الله بوصله إعراضهم عن اتصال روح القدس والمبادئ العالية والأرواح السماوية التي هي الملأ الأعلى، وسكان الحضرة الإلهية من أهل الجبروت والملكوت الذين يجانسونهم بذواتهم وصفاتهم، وهم أهل قرابتهم الحقيقية، ورحمهم الظاهر المأمور بوصله حقيقة بتوجههم إلى العالم السفليّ ومحبتهم للجواهر الفاسقة المظلمة، وعشقهم وشغفهم بالأمور الخسيسة الفانية. ولهذا قال عليه الصلاة والسلام:

« إن الله يحب معالي الأمور وأشرافها، ويبغض سفاسفها

« ، إذ كلما كان مطلوب النفس أخسّ كانت عن العالم الشريف أبعد.

ضروب الناس عشاق ضروبا فأغدرهم أشقهم جيوبا

وقد مرّ تفسير الإفساد في الأرض، والخسران الذي هو تضييع الجوهر النوريّ الباقي لأجل الظلمانيّ الفاني.

{ كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ وَكُنْتُمْ أَمْوَٰتاً فَأَحْيَٰكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ }

{ هُوَ ٱلَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَّا فِي ٱلأَرْضِ جَمِيعاً ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَسَوَّٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ }

{ كيف تكفرون بالله } أي: على أيّ حال تحجبون عنه

{ و } الحال أنكم { كنتم أمواتاً } نطفاً في أصلاب آبائكم { فأحياكُم } أي: لم لا تستدلون بالخلق على الخالق

{ ثم يُميتُكُم } بالموت الطبيعي { ثم يُحْيِيكُم } بالبعث، إذ الأوّل معلوم بالمشاهدة، والثاني بالاستدلال عليه بالإنشاء الأوّل { ثم إليه تُرْجَعُونَ } للمجازاة، أو ثم يميتكم عن أنفسكم بالموت الإراديّ الذي هو الفناء في الوحدة ثم يحييكم بالحياة الحقيقية التي هي البقاء بعد الفناء بالوجود الموهوب الحقانيّ. ثم إليه ترجعون للمشاهدة إن كانت الوحدة

وحدة الصفات، أو الشهود إن كانت وحدة الذات.

{ هو الذي خلق لكم ما في الأرضِ جميعاً } أي: الجهة السفليّة التي هي العالم

العنصريّ جميعاً لكونها مبادئ خلقكم وموادّ وجودكم وبقائكم { ثم استوى } أي: قصد قصداً مستوياً إلى الجهة العلوية، وثم للتفاوت بين الجهتين والإيجادين الإبداعيّ والتكويني لا للتراخي بين الزمانين ليلزم تقدّم خلق الأرض على السماء. فعدّلهنّ سبع سموات بحسب ما تراه العامة، إذ الثمن والتاسع هو الكرسيّ والعرش الظاهران. والحقيقة أنّ الجهة السفليّة هي العالم الجسمانيّ كالبدن وأعضائه لدنوّ رتبته بالنسبة إلى العالم الروحانيّ الذي هو الجهة العلوية المعبر عنها بالسماء. وثم للتفاوت بين الخلق والأمر. وسواهنّ سبع سموات إشارة إلى مراتب عالم الروحانيات، فالأول: هو عالم الملكوت الأرضية والقوى النفسانية والجنّ. والثاني: عالم النفس. والثالث: عالم القلب. والرابع: عالم العقل. والخامس: عالم السرّ. والسادس: عالم الروح. والسابع: عالم الخفاء الذي هو السرّ الروحيّ غير السرّ القلبيّ. وإلى هذا أشار أمير المؤمنين عليه السلام بقوله: « سلوني عن طرق السماء، فإني أعلم بها من طرق الأرض «وطرقها: الأحوال والمقامات كالزهد، والتوكل، والرضا، وأمثالها.

واعلم أنّ العقل باصطلاح الحكمة هو الروح باصطلاح أهل التصوّف، والذي سميناه ههنا بالعقل على اصطلاح المتصوّفة هو القوّة العاقلة التي للنفس الناطقة عند الحكماء. ولهذا قالت المتصوّفة: العقل هو موضع صقيل من القلب، متنوّر بنور الروح. والقلب هو النفس الناطقة، فاحفظه لئلا يتشوّش الفهم باختلاف الاصطلاح.

{ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُواْ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لاَ تَعْلَمُونَ }

{ وإذْ قالَ ربكَ للملائكةِ } إذ: إشارة إلى السرمد الذي هو من الأزل إلى الأبد، والقول هو إلقاء معنى تعلق مشيئة الله تعالى بإيجاد آدم في الذوات القدسية الجبروتية التي هي الملائكة المقرّبون والأرواح المجرّدة والملكوتية التي هي النفوس السماوية إذ كل ما يحدث في عالم الكون له صورة قبل التكوين في عالم الروح الذي هو عالم القضاء السابق، ثم في عالم القلب الذي هو قلب العالم المسمّى باللوح

المحفوظ، ثم في عالم النفس أي: نفس العالم الذي هو لوح المحو والإثبات المعبر عنه بالسماء الدنيا في التنزيل كما قال تعالى:

{ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلاَّ عِندَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنَزِّلُهُ إِلاَّ بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ }

[الحجر، الآية: ٢١]، فذلك قوله تعالى للملائكة: { إني جاعلٌ في الأرضِ خليفةٌ } واعتبر بحالك في نفسك، فإنّ كل ما يظهر على جوارحك التي هي عالم كونك وشهادتك من القول والفعل، له وجود في روحك التي هي ما وراء غيب غيبك، ثم في غيب غيبك، ثم في نفسك التي هي غيبك الأدنى وسماؤك الدنيا، ثم يظهر على جوارحك. والجعل أعم من الإبداع والتكوين، فلم يقل (خالق) لأن الإنسان مركب من العالمين: خليفة يتخلق بأخلاقي، ويتصف بأوصافي، وينفذ أمري، ويسوس خلقي، ويدبر أمرهم، ويظبط نظامهم، ويدعوهم إلى طاعتي. وإنكار الملائكة بقولهم:

{ قالوا أتجعل فيها من يُفْسِدُ فيها ويَسفِكُ الدماءَ }

وتعريضهم بأولويتهم لذلك بقولهم:

{ ونحن نسبح بحمدك ونقدّس لك } هو احتجابهم عن ظهور معنى الإلهية والأوصاف الربانية فيه التي هي من خواص الهيئة الاجتماعية والتركيب الجامع للعالمين الحاصر لما في الكونين. وعلمهم بصدور الأفعال البهيمية التي هي الإفساد في الأرض، والسبعية المعبر عنها بسفك الدماء اللتين هما من خواص قوّة الشهوة والغضب الضروري وجودهما في تعلق الروح بالبدن، وبنزاهة ذواتهم وتقدّس نفوسهم عن ذلك، إذ كل طبقة من الملائكة المقدّسة تطلع على ما تحتها وما في أنفسها ولا تطلع على ما فوقها، فهي تعلم أنه لا بدّ في تعلق الروح العلوي النوراني بالبدن السفلي الظلماني من واسطة تناسب الروح من وجه، وتناسب الجسم من وجه، هي النفس، وهي مأوى كل شرّ، ومنبع كل فساد. ولا تعلم أن الجمعية الإنسانية جالبة للنور الإلهيّ الذي هو سرّ { إني أعلم ما لا تعلمون } والفرق بين التسبيح والتقديس، أن التسبيح: هو التنزيه عن الشريك والعجز والنقص. والتقديس: هو التنزيه عن التعلق بالمحل وقبول الانفعال وشوائب الإمكان والتعدّد في ذاته وصفاته وكون شيء من كمالاته بالقوة. فالتقديس أخص،

إذ كل مقدّس مسبح وليس كلّ مسبح مقدساً، فالملائكة المقرّبون الذين هم الأرواح المجرّدة بتجرّدهم وعدم احتجابهم عن نور ربهم وقهرهم ما تحتهم بإضافة النور عليهم، وتأثيرهم في غيرهم، وكون جميع كمالاتهم بالفعل مقدّسون وغيرهم من الملائكة السماوية والأرضية مسبّحون ببساطة ذواتهم وخواص أفعالهم وكمالاتهم.

{ وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ فَقَالَ أَنۢبِـُٔونِي بِأَسْمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ }

{ قَالُواْ سُبْحَٰنَكَ لاَ عِلْمَ لَنَآ إِلاَّ مَا عَلَّمْتَنَآ إِنَّكَ أَنْتَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ }

{ قَالَ يَٰٓءَادَمُ أَنۢبِئْهُمْ بِأَسْمَآئِهِمْ فَلَمَّآ أَنۢبَأَهُمْ بِأَسْمَآئِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَّكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ }

{ وعلم آدم الأسماء كلها } أي: ألقى في قلبه خواص الأشياء التي تعرف بها هي ومنافعها ومضارّها { ثم عَرَضُهُم } أي: عرض مسمياتها { على الملائكةِ } بشهودهم البنية الإنسانية ومرافقتهم لآدم في التنزيل. ومعنى قوله: { فقال أنبئوني بأسماءِ هؤلاءِ إن كنتمْ صادقين } إرادته لانتعاشهم ببعض معلومات الإنسان باقتضاء التركيب الإنساني، وتأذّي محسوساته ومعلوماته المتنوعة منها والحادثة فيه بخاصية التركيب والهيئة الاجتماعية إلى ذواتهم بعد ما لم تكن، إذ علومهم تابعة لعلمه وهو معنى إفحامهم وتعلق إرادته بذلك أمر آدم بالإنباء إذ جميع القوى الإنسانية والملائكة التي بحضرته تنتعش بما لا تنتعش هي في غير ذلك المحل، وهو معنى إنباء آدم إياهم.

ومعنى قوله: { قالوا سبحانك لا عِلْمَ لنا إلا ما علمتَنَا إنك أنت العليمُ الحكيمُ } شهادة وجوداتهم بالدلالة وألسنة الحال على قصورهم عن الكمالات الإنسانية وتخلفهم عن شأوها، وبتنزيه الله عن فعل ما فيه مفسدة بالإجمال، وعلمهم بامتناع ترقيهم إلى مراتبهم بكسب العلوم، إذ كمالاتهم مقارنة لوجوداتهم، وبأن علمه تعالى فوق علمهم فهو العليم المطلق، والحكيم الذي لا يفعل إلا ما ينبغي. ولهذا قال:{ يا آدَمُ أَنْبِئهُم }

ولم يقل علمهم، لأنّ العلم المكتسب الموجب للترقي هو من خاصية الجمعية الإنسانية فلا يقبل كل منها إلا ما في طباعه من جنس مدركاته لا غير، وكما أن

البصر مثلاً من كثرة مبصراته لا يزيد علماً ورتبة ولا يقبل إلا ما هو من جنس المبصرات فقط، وإن تكثرت عنده فكذلك حال كل قوة باطنة. ومعنى: { ألم أقُلْ } تقريره في طباع الملائكة أنه تعالى يعلم ما لا يعلمون من غيب السموات والأرض الذي هو سرّ المعرفة والمحبة المودع في الإنسان الذي استأثر الله بعلمه { وأعلم ما تُبْدُونَ } من علمكم بمفاسد الإنسان { وما كُنْتم تَكتُمونَ } من ترجيحكم ذواتكم عليه لنزاهتها وتقدّسها.

{ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰئِكَةِ ٱسْجُدُواْ لأَدَمَ فَسَجَدُواْ إِلاَّ إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ }

{ وإذْ قلنا للملائكةِ اسجُدُوا لآدَمَ } سجودهم لآدم انقيادهم وتذللهم له ومطاوعتهم وتسخرهم له { فسجدوا إلا إبليس أبَى واسْتَكْبَرَ } وإبليس هو القوة الوهمية لأنها ليست من الملائكة الأرضية الصرفة المحجوبة عن إدراك المعاني بإدراك الصور، فيذعن بالقهر مطاوعة لأمر الله، ولا من السماوية العقلية فتدرك شرف آدم وتوافق عقله فيذعن بالمحبة طالباً لرضا الله. وكان جنيّاً: أي من جملة الملكوت السفلية والقوى الأرضية، نشأ وتربى بين ظهور الملائكة السماوية لإدراكه المعاني الجزئية وترقيه إلى الأفق العقليّ ولهذا كان في الحيوانات العجم بمنزلة العقل في الإنسان وإباؤه عدم انقياده للعقل، وامتناعه لقبول حكمه، واستكباره تفوّقه على الخلقة الطينية والملائكة السماوية والأرضية بعدم وقوفه على حدّه من إدراك المعاني الجزئية المتعلقة بالمحسوسات وتعدّيه عن طوره بخوضه في المعاني العقلية والأحكام الكلية. { وكانَ مِنَ الكَافِرِينَ } المحجوبين في الأزل عن الأنوار العقلية والزوجية فضلاً عن نور الوحدة.

{ وَقُلْنَا يَٰآءَادَمُ ٱسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ وَكُلاَ مِنْهَا رَغَداً حَيْثُ شِئْتُمَا وَلاَ تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ }

{ وقلنا يا آدم اسْكُنْ أنتَ وزوجُكَ الجنة } زوجته: هي النفس، وسميت حواء لملازمتها الجسم الظلماني إذ الحياة هي اللون الذي يغلب عليه السواد كما أن القلب سمي آدم لتعلقه بالجسم دون الملازمة بالانطباع إذ الأدمة هي السمرة أي:

اللون الذي يضرب إلى السواد ولولا تعلقه لما سمي آدم. والجنة المأمور بملازمتهما إياها هي سماء عالم الروح التي هي روضة القدس أي ألزِمَا سماء الروح.
{ وكلا منها رَغَداً حيثُ شِئتُما } أي: توسّعا وتفسحا في تلقي معانيها ومعارفها وحكمها التي هي الأقوات القلبية والفواكه الروحية توسعاً بالغاً على أي وجه ومن أي مرتبة وحال ومقام شئتما إذ هي دائمة غير منقطعة ولا محجورة { فتكونا من الظالمين } الواضعين النور في محل الظلمة الذي ليس موضعه والناقصين من نور استعدادكما وحظكما من عالم النور، فإن الظلم في العرف هو وضع الشيء في غير موضعه وفي اللغة نقص الحق والحظ الواجب.

{ فَأَزَلَّهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ وَقُلْنَا ٱهْبِطُواْ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي ٱلأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ } { فَتَلَقَّىٰ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِ كَلِمَٰتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ }

{ فأزَلهُما الشيطانُ عنها } أي: حملهما على الزلة من مقامهما إ لى مهوى الطبيعة عن الجنة بتسويل الملاذ الجسمانية ودوامها عليهما { فأخرجهما مما كانا فيه } من النعيم والروح الدائم. وقيل: بينما هما يتفرّجان في الجنة إذ راعهما طاووس تجلّى لهما على سور الجنة، فدنت حواء منه وتبعها آدم فوسوس لهما الشيطان من وراء الجدار. وقيل: توسل بحيّة تتسوّر الجنة فأخذ بذنبها وصعد الجنة. والأوّل إشارة إلى توسله من قبل الشهوة خارج الجنة. والثاني: إلى توسله بالغضب. وتسوّره جدار الجنة: إشارة إلى أن الغضب أقرب إلى الأفق الروحانيّ والحيز القلبيّ من الشهوة. { وقلنا اهبطوا } أي: ألزمناهم الهبوط إلى الجهة السفلية التي هي العالم الجسمانيّ { بعضكم لبعض عدو } حال من الهبوط مقيد له إذ الهبوط إلى الدنيا التي هي الجهة السفلية يستلزم كون مطالبها جزئية في ضيق المادة محصورة لا تحتمل الشركة. وكلما حظي بها أحد حرم منها غيره فمنعه، فيقع بينهما العداوة والبغضاء بخلاف المطالب الكلية وجمع الخطاب لأن خطابهما خطاب النوع إذ الأصل يتناول الفرع { ولكم في الأرض } أي: في هذه الجهة { مُسْتَقر } استقرار { ومتاعٌ } تمتع { إلى حينٍ } أي: حين تجرّدهما بالموت الإرادي وانقطاع حظوظهما بالموت الطبيعي

وقيام أحد القيامتين الكبرى أو الصغرى.

{ فتلقى آدم من ربهِ كلماتٍ } أي: استقبل من جهة ربّه أنواراً وأطواراً، أي: مراتب من الملكوت والجبروت وأرواحاً مجرّدة، إذ كل مجرد كلمة لأنه من عالم الأمر كما سمي عيسى كلمة أو تلقن منه معارف وعلوماً وحقائق.

{ فَتَابَ عليه } تقبّل رجوعه إليه بالتجرّد عن الملابس الطبيعية والانخراط في سلك الأنوار الملكوتية، والاتصاف بالكمالات القدسية، والتجلّي بالعلوم الحقيقية. وأصل تاب عليه: ألقى الرجوع عليه وجعله راجعاً. ولعمري إنها هي التوبة المقبولة لا الرجوع الناشئ من قبله.

{ إنه هو التوابُ } الكثير القبول لتوبة عباده { الرحيم } الذي سبقت رحمته غضبه، فيرحم عبده في حين غضبه، كما جعل غضبه على آدم سبب كماله ورجوعه إليه وبعده ليتقرّب منه.

{ قُلْنَا ٱهْبِطُواْ مِنْهَا جَمِيعاً فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَن تَبِعَ هُدَايَ فَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ }

{ وَٱلَّذِينَ كَفَرواْ وَكَذَّبُواْ بِآيَٰتِنَآ أُولَـٰئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ }

{ يَٰبَنِي إِسْرَائِيلَ ٱذْكُرُواْ نِعْمَتِيَ ٱلَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُواْ بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ وَإِيَّيَ فَٱرْهَبُونِ }

{ قلنا اهْبِطوا منها جميعاً } كرر ذلك الأمر بالهبوط ليفيد أنه هو الذي أراد ذلك ولولا إرادته لما قدر إبليس على إغوائهم، لهذا أسند الإهباط إلى نفسه مجرداً عن التعليق بالسبب بعد إسناد إخراجهما إلى الشيطان، فهو قريب مما قال لنبيه:{ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَـٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ }[الأنفال، الآية: ١٧] فتفطن منه سرّ قضائه وقدره وبين وجه حكمة الإهباط بتعقيبه بقوله:

{ فإما يأتينكم مني هُدى فمن تبع هداي فلا خوفٌ عليهم ولا هم يَحزَنُونَ } وإيراده بالفاء إذ لولا الهبوط لما أمكنهم من متابعة الهدى، ولما تميز السعيد والشقيّ، ولا حصل استحقاق الثواب والعقاب، ولبطل دار الجزاء من الجنة والنار، بل ما وجدت. والهدى هو الشرع فمن تبعه أمن سوء العاقبة فلم يخف مما يأتي من العقاب والفناء، وتسلى عن الشهوات واللذات، فلم يحزن

على ما فاته من حطام الدنيا ونعيمها لاكتحال بصيرته بنور المتابعة واهتدائه إلى ما لا يقاس بلذات الدنيا من الأذواق الروحانية، والفتوحات السريّة، والمشاهدات القلبية، والعلوم العقلية، والمواجيد النفسية.

{ والذينَ كَفَروا } أي: حجبوا عن الدين لكونه في مقابلة اتباع الهدى. وإردافه بقوله: { وكَذبوا بِآياتِنا أُولئكَ أَصحابُ النارِ } أي: نار الحرمان { هم فيها خالدون * يا بَنِي إسرائيلَ اذكُروا نِعمتي التي أنعمتُ عليكم وأوفُوا بِعَهدي أُوفِ بعهدكم وإيايَ فارهبون } بنو إسرائيل هم أهل اللطف الإلهيّ، وأرباب نعمة الهداية والنبوة، دعاهم باللطف وتذكير النعمة السابقة، والعهد السالف المأخوذ منهم في التوراة بتوحيد الأفعال بعد العهد الأزليّ كما هو عادة الأحباب عند الجفاء.

ألم يك بيننا رحم ووصل وكان بنا المودّة والإخاء

وهذه الدعوة مخصوصة بتوحيد الصفات الذي هو رفع الحجاب الثاني، فهي أخص من الدعوة الأولى العامة لتذكير النعمة الدينية والعهد والتجلّي بصفة المنعم والوليّ، والتهديد على عدم إجابتها بالرهبة التي هي أخصّ من الخوف، فإن الخوف إنما يكون من العقاب، والرهبة من السخط والقهر، والإعراض والاحتجاب والخشية أخص منها لكونها مخصوصة باحتجاب الذات. قال الله تعالى:

{ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوءَ الحِسَابِ }

[الرعد، الآية: ٢١]. وكذا الهيبة لأنها قرنت بعظمة الذات.

{ وَآمِنُواْ بِمَآ أَنزَلْتُ مُصَدِّقاً لِّمَا مَعَكُمْ وَلاَ تَكُونُواأَوَّلَ كَافِرٍ بِهِ وَلاَ تَشْتَرُواْ بِآيَتِي ثَمَناً قَلِيلاً وَإِيَّيَ فَٱتَّقُونِ }

{ وَلاَ تَلْبِسُواْ ٱلْحَقَّ بِٱلْبَطِلِ وَتَكْتُمُواْ ٱلْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ }

{ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلٰوةَ وَآتُواْ ٱلزَّكٰوةَ وَٱرْكَعُواْ مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ }

{ وآمنُوا بِما أنْزلتُ } من القرآن على حبيبي من توحيد الصفات { مصدقاً لما معكم } في التوراة من توحيد الأفعال { ولا تكونوا أوّل كافِرٍ بِه } أي: أول محجوب عنه لاحتجابكم باعتقادكم { ولا تشتروا } أي: لا تستبدلوا { بآياتِي } الدالة على تجليّات ذاتي وصفاتي كسورة (الإخلاص) وآية (الكرسي) وأمثالهما، { ثمناً قليلاً }

أي: جنتكم النفسية لتألفكم بالملاذ الحسيّة وثواب الأعمال بتوحيد الأفعال.
وإن اتقيتم عن الشرك فاتقوا سطوة قهري وجلالي وحجابي بابتغاء رضاي فلا تثبتوا صفة لغيري.{ ولا تلبسوا الحق بالباطلِ } أي: ولا تخلطوا صفاته تعالى الثابتة كعلمه وقدرته وإرادته بالباطل الذي هو صفات نفوسكم بظهورها بصفاتها وعدم تمييزكم بين دواعيها وخواطرها ودواعي الحق وخواطره، ولا تكتموها بحجاب صفات النفس وسترها إياها عند ظهورها { وأنتم تعلمون } من علم توحيد الأفعال أنّ مصدر الفعل هو الصفة،
فكما لم تسندوا الفعل إلى غيره لا تثبتوا صفة لغيره.
{ وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة } طلباً لمرضاتي لا رجاء لثوابي، ومصداقه قوله:
{ واركعوا مع الراكعين } إذ الركوع هو الخضوع والإذعان لما يفعل به فهو علامة الرضا الذي هو ميراث تجلّي الصفات وغايته، أي: ارضوا بقضائي عند مطالعة صفاتي والتوجه عند القيام بالفعل علامة طلب الثواب والأجر لاستقلال النفس بصورتها، والسجود الذي هو غاية الخضوع علامة الفناء في الوحدة عند تجلي الذات.

{ أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ تَتْلُونَ ٱلْكِتَٰبَ أَفَلاَ تَعْقِلُونَ }
{ وَٱسْتَعِينُواْ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلاَّ عَلَى ٱلْخَٰشِعِينَ } { ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُواْ رَبِّهِمْ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ } { يَٰبَنِي إِسْرَائِيلَ ٱذْكُرُواْ نِعْمَتِيَ ٱلَّتِيۤ أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ }
{ وَٱتَّقُواْ يَوْماً لاَّ تَجْزِي نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْئاً وَلاَ يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَٰعَةٌ وَلاَ يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلاَ هُمْ يُنْصَرُونَ }

{ أتأمرونَ الناسَ بالبِرِ } الذي هو الفعل الجميل الموجب لصفاء القلب، وزكاء النفس الزائد منها بالتنوّر{ وتَنسَونَ أنفسكم } أفلا تفعلون ما ترتقون به من مقام تجلّي الأفعال إلى تجلّي الصفات { وأنتُم تَتْلُونَ } كتاب فطرتكم الذي يأمركم باتباع محمد في دينه السالك بكم سبيل التوحيد { أفلا تعقِلونَ } تعيير بالغ، وتهييج لحميتهم.
{ واسْتَعينوا } واطلبوا العون والمدد ممن له القدرة، إذ لا قدرة لكم على أفعالكم { بالصبْرِ } على ما تكرهون مما يفعل بكم وتكلفكم ونيتكم به لكي تصلوا إلى مقام الرضا { والصلاة } التي هي حضور القلب لتلقي تجليّات الصفات { وإنها } وإنّ

المراقبة أي الحضور القلبيّ { لكبيرةٌ } لشاقة ثقيلة { إلا على الخَاشعينَ } المنكسرة، اللينة قلوبهم لقبول أنوار التجليات اللطيفة واستيلاء سطوات التجليات القهرية، الذين يتيقنون أنهم بحضرة ربهم، أي: حضرة الصفات لدلالة الربّ عليها في حال لقائه، { وأنهم إليهِ راجِعونَ } بفناء صفاتهم ومحوها في صفاته.

كرّر الخطاب ليفيد أنّ الذي هداهم أولاً ولطف بهم وفضلهم على عالمي زمانهم المحجوبين بالهداية إلى رفع الحجاب الأول هو الذي يهديهم ثانياً، فكما لم يرد بهم شرّاً في الهداية الأولى فكذلك في الثانية لا يريد بهم إلا خيراً.

{ واتقوا يوماً لا تَجزِي } أي: حال تجلي صفة القهر حين لا تغني { نَفسٌ عنْ نَفسٍ شَيْئاً } من الإغناء لعدم القدرة لأحد { ولا يُقْبلُ منها شفاعةٌ } لعدم الشفاعة والمدد إذ كلهم مسلوبو الصفات والأفعال، كقوله:

ولا ترى الضب بها ينجحر{ ولا يؤخذُ منها عدلٌ }

أي: فدية لعدم الملك لأحد { ولا هم يُنْصَرونَ }

لامتناع القوّة والنصرة لغيره تعالى.

{ وَإِذْ نَجَّيْنَٰكُم مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ ٱلْعَذَابِ يُذَبِّحُونَ أَبْنَآءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَآءَكُمْ وَفِي ذَٰلِكُم بَلَاءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ }

{ وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ ٱلْبَحْرَ فَأَنجَيْنَٰكُمْ وَأَغْرَقْنَآ آلَ فِرْعَوْنَ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ }

{ وإذ نَجيناكم من آلِ فِرعونَ } ظاهره وتفسيره على ما يفهم من تذكير النعمة لتهييج المحبة وباطنه وتأويله { وإذ نجيناكم من آل فرعون } النفس الأمارة المحجوبة بأنانيتها المستعلية على ملك الوجود ومصر مدينة البدن التي استعبدت هي وقواها التي هي الوهم والخيال والتخلية والغضب والشهوة والقوى الروحانية التي هي أبناء صفوة الله يعقوب الروح والقوى الطبيعية البدنية من الحواس الظاهرة والقوى النباتية.

{ يَسُومونَكم سُوءَ العَذَابِ } يكلفونكم المتاعب الصعبة والكدّ والأعمال الشاقّة في جمع المال وادّخاره بالحرص والأمل وترتيب الأقوات والملابس وغيرها مما يكدح فيه الحرّاص من أبناء الدنيا ويستعبدونكم في التفكر فيها والاهتمام بها وضبطها وتحصيل لذاتهم التي هي عذاب لمنعها إياكم عن لذاتكم. { يذبحونَ

أبناءَكُم } التي هي تلك القوى الروحانية عن العاقلة النظرية، والعاقلة العملية اللتين هما عينا القلب النظرية اليمنى والعملية اليسرى، والفهم الذي هو سمع القلب، والسرّ الذي هو قلب القلب، والفكر والذكر { ويستحيونَ نِساءَكم } القوى الطبيعية المذكورة بمنع الطائفة الأولى عن أفعالها الخاصة بالقهر والاستيلاء وحجبها عن حياة نور الروح ومددها وإقدار الطائفة الثانية عن أفعالها وتمكينها.{ وفي ذلِكُم } الإنجاء نعمة عظيمة { من ربكم } هي نعمة مطالعة صفات جلاله وجماله، أو في ذلكم التعذيب نقمة عظيمة من ربكم هي نقمة الاحتجاب والحرمان والبعد، إذ البلاء الذي هو الامتحان يحصل بهما.

قال الله تعالى:

{ وَبَلَوْنَاهُمْ بِٱلْحَسَنَاتِ وَٱلسَّيِّئَاتِ }[الأعراف: ١٦٨].

{ وإذْ فرقنَا } بوجودكم { البَحرَ } أي البحر الأسود الزعاق الذي هو المادة الجسمانية لانفلاقها بوجودكم انفلاق الأرض من النبات { فأنْجَيناكُم } بالتجرّد منها { وأغْرَقنا آلَ فِرْعون } أي: القوى النفسانية فيها بملازمتها إياها وهلاكها بفسادها، { وأنْتم } تشاهدون ذلك. وعلى هذا يمكن أن يؤوّل بنو إسرائيل في أوّل الخطاب بتلك القوى الروحانية والنِعْمة التي أنعم بها عليهم هي التهدي إلى قبول الأنوار الفائضة عليها من عالم الروح وتلقي المعارف والحكم، وإيفاؤهم بالعهد، وإبرازهم ما ركز فيها بحسب الاستعداد الأول من الأدلة التوحيدية والمعاني الكلية الكامنة فيها بالتصفية ومزاولة ما يختص بها من الأفعال، وإيفاؤه بعهدهم إفاضة النور الكماليّ عليها عند قيامها بحق النور الاستعدادي بالتصفية واستعمال ما عندهم من المعاني. وإن كنتم رهبتم شيئاً فارهبوا احتجاب أنواري بزوال استعدادكم، وآمنوا أي: واقبلوا ما أفيض عليكم من الإشراقات النورية والسوانح الغيبية مصدّقاً لما في استعدادكم من النور الفطريّ، ولا تكوونوا في أوّل رتبة المحتجبين عن قبولها بالتوجه إلى الجهة السفلية ولا تستبدلوا بها لذات النفس ومقاصدها، ولا تخلطوا حق المعارف الروحية والأنوار القدسية بباطل المطالب الحسية والصفات النفسية، وتكتموا تلك الأنوار والمعارف بظهور هذه عليكم. وأقيموا وأديموا التوجه إلى حضرة الروح وامتثال أمره، وآتوا زكاة معلوماتكم التي هي أموالكم بتصفحها وتركيبها لتحرزوا بها

ثـواب النتائـج واللـوازم، وأنفقوهـا عـلى فقرائكـم الذيـن بحضرتكـم مـن القـوى البدنيـة الطبيعيـة ليعيشـوا بهـا، ويكتسـبوا بهـا الأخـلاق الفاضلـة والملـكات الجميلـة، وعلموهـا أبنـاء جنسـكم ليكملـوا بهـا، واركعـوا واخضعـوا لقبـول الأوامـر العقليـة والأنـوار الروحيـة والأعـمال القلبيـة.

{ وَإِذْ وَٰعَدْنَا مُوسَىٰ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ث
مَّ ٱتَّخَذْتُمُ ٱلْعِجْلَ مِن بَعْدِهِ وَأَنْتُمْ ظَٰلِمُونَ }
{ ثُمَّ عَفَوْنَا عَنكُم مِّن بَعْدِ ذَٰلِكَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ }{ وَإِذْ آتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَابَ وَٱلْفُرْقَانَ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ } { وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ يَٰقَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنْفُسَكُمْ بِٱتِّخَاذِكُمُ ٱلْعِجْلَ فَتُوبُوا إِلَىٰ بَارِئِكُمْ فَٱقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ عِندَ بَارِئِكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ
إِنَّهُ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ }

{ وإذ وَاعَدنا مُوسى } بعـد فراغـه مـن مقاومـة آل فرعـون وإهلاكهـم { أربعـينَ ليلـةً } يخلـص لنـا فيهـا لترفـع بهـا الغشـاوات الطبيعيـة التي حجبـت قلبه عـن معـدن النور في الأربعـين التـي خلـق فيهـا بدنـه عنـد تكوّنـه جنينـاً واحتجابـه بالنشـأة عـن الفطـرة كما ورد في الحديـث« خمـر طينـة آدم بيـده أربعـين صباحـاً « وعـن وجـه قلبـه،

وتظهـر حكمـة التـوراة مـن قلبـه عـلى لسـانه { ثـم اتخذتـم } عجـل النفـس الحيوانية الناقصـة إلهـاً مـن بعـد اعتزالـه وغيبتـه عنكـم { وأنتـم ظَالِمُـون } واضعـون العبـادة في غـير موضعهـا.{ ثـم عَفَونـا عنكـم مـن بعـدِ ذلـك } الفعـل الشـنيع، والظلـم القبيـح، بتوبتكـم عنـد رجـوع مـوسى إليكـم لـكي تشـكروا نعمـة عفـوي بتصـوّر تلـك النعمـة عـن المنعـم فتسـتعدّوا لقبـول تجلّي صفـة المنعـم. وعـلى التأويـل الثـاني: { واعدنـا مـوسى } القلـب عنـد تعلقـه بالبـدن واحتجابـه عـن قومـه القـوى الروحانيـة الأربعـين التـي خلقـت فيهـا بنيـة بدنـه ثـم تعبّدتـم عجـل النفـس الحيوانيـة الطفـل مـن بعـد غيبتـه واحتجابـه في حـال الصبـا { ثـم عفونـا عنكـم مـن بعـد ذلـك }

التعبـد بالبلـوغ الحقيقـيّ، وظهـور نـور القلـب بتجرّدكـم لـكي تشـكروا نعمـة توفيقـي إياكـم لذلـك التجـرّد وتهيئتـي لأسـباب كمالكـم بسـلوك سـبيل صفـاتي.

{ وإذ آتينا موسى } القلب كتاب المعقولات والحكم والمعارف والتمييز الفارق بين الحق والباطل، لكي تهتدوا بنور هداه. وعلى الوجه الأول غنيّ عن التأويل.
{ ظلمتم أنفُسكم } نقصتم حقوقها وحظوظها من الثواب والتجليات المذكورة { فتُوبُوا } إلى خالقكم برفع الحجاب الأول لدلالة ذكر البارئ عليه { فاقتلوا أنْفُسكم } بسيف الرياضة ومنعها عن حظوظها وأفعالها الخاصة بها على سبيل الاستقلال وقمع هواها التي هي روحها التي تحيا هي بها، وعلى الثاني ألهم القلب قواه أنكم نقصتم حقوقكم بتعبد النفس فارجعوا إلى بارئكم بنور هداه فامنعوا أنفسكم بالرياضة عما ضربتم فاقتلوها عن حياتها العارضة لها بغلبة الهوى لتحيوا بحياتكم الأصلية فتقبل توبتكم.

{ وَإِذْ قُلْتُمْ يَٰمُوسَىٰ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ وَأَنْتُمْ تَنظُرُونَ }

{ ثُمَّ بَعَثْنَٰكُم مِّن بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ }

{ وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ ٱلْغَمَامَ وَأَنزَلْنَا عَلَيْكُمُ ٱلْمَنَّ وَٱلسَّلْوَىٰ كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ }

{ وإذْ قلتم يا موسى لنْ نُؤمِنَ } لأجل هدايتك الإيمان الحقيقي حتى تصل إلى مقام المشاهدة والعيان { فأخَذَتكم } صاعقة الموت الذي هو الفناء في التجلي الذاتي { وأنْتُم } تراقبون أو تشاهدون. { ثم بعثناكم } بالحياة الحقيقية والبقاء بعد الفناء لكي تشكروا نعمة التوحيد والوصول بالسلوك في الله { وظَلَلنَا عليكمُ } غمام تجلي الصفات لكونها حجب شمس الذات المحرقة بالكلية،
{ وأنزلنَا عليكم } من الأحوال والمقامات الذوقية الجامعة بين الحلاوة وإسهال رذائل أخلاق النفس كالتوكل والرضا، وسلوى الحكم، والمعارف والعلوم الحقيقية التي تحشرها عليكم رياح الرحمة، والنفحات الإلهية في تيه الصفات عند سلوككم فيها. { كلوا } أي: تناولوا وتلقوا هذه الطيبات
{ وما ظلمونا } ما نقصوا حقوقنا وصفاتنا باحتجابهم بصفات نفوسهم { ولكنْ كانوا } ناقصين حقوق أنفسهم بحرمانها وخسرانها. هذا على التأويلين، والخطاب

وإن كان عاماً لكنه مخصوص بالسبعين المختارين.

{ وَإِذْ قُلْنَا ٱدْخُلُواْ هَـٰذِهِ ٱلْقَرْيَةَ فَكُلُواْ مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَداً وَٱدْخُلُواْ ٱلْبَابَ سُجَّداً وَقُولُواْ حِطَّةٌ نَّغْفِرْ لَكُمْ خَطَٰيَٰكُمْ وَسَنَزِيدُ ٱلْمُحْسِنِينَ }

{ وإذْ قُلنا ادخلوا هذه القرية } أي: روضة الروح المقدسة التي هي مقام المشاهدة { وادخلوا البابَ } الذي هو الرضا كما ورد في الحديث: « الرضا بالقضاء باب الله الأعظم

{ سجداً } منحنين، خاضعين، لما يرد عليكم من التجليات الوصفية والفعلية والحملية. وقوله: { وقولوا حِطةٌ }

أي: اطلبوا أن يحط الله عنكم ذنوب صفاتكم وأخلاقكم وأفعالكم { نغفر لكم خطاياكم } تلويناتكم وذنوب أحوالكم { وسنَزِيدُ المُحْسنين } أي: المشاهدين لقوله عليه الصلاة والسلام: « الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه « ثواب إحسانهم الذي هو كشف الذات أو إحسانهم بالسلوك في الله.

{ فَبَدَّلَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ قَوْلاً غَيْرَ ٱلَّذِي قِيلَ لَهُمْ فَأَنزَلْنَا عَلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ رِجْزاً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ بِمَا كَانُواْ يَفْسُقُونَ }

{ فبَدل الذين ظَلَمُوا قولاً غير الذي قِيلَ لهم } أي: طلبوا الاتصاف بصفات النفس ابتغاء حظوظها سوى طلب الاتصاف بصفات الله ابتغاء الحظوظ الروحية. كما روي عنهم حنطاً سمقاثاً أي: نطلب غذاء النفس. { فأنزلنَا } على الظالمين خاصة { رِجْزاً } عذاباً وضنكاً وضيقاً وظلمة في حبس النفس وأسراً في وثاق التمني واحتجاباً في قيد الهوى، وحرماناً وذلاً بمحبة المادة السفلية وتغيرها وزوالها من جهة قهر سماء الروح، ومنع اللطف والروح عنهم بسبب فسقهم أي خروجهم عن طاعة القلب إلى طاعة النفس، وتركنا التأويل الثاني لقربه منه جداً.

{ وَإِذِ ٱسْتَسْقَىٰ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ فَقُلْنَا ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْحَجَرَ فَٱنفَجَرَتْ مِنْهُ ٱثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْناً قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْ كُلُواْ وَٱشْرَبُواْ مِن رِّزْقِ ٱللَّهِ

وَلاَ تَعْثَوْاْ فِي ٱلأَرْضِ مُفْسِدِينَ }

{ وإذْ استسقى موسى } طلب نزول أمطار العلوم والحكم والمعاني من سماء الروح، فأمرناه بضرب عصا النفس التي يتوكأ عليها في تعلقه بالبدن وثباته على أرضه بالفكر على حجر الدماغ الذي هو منشأ العقل { فانفجرتْ مِنه اثنتَا عشرةَ عيناً } من مياه العلوم على عدد المشاعر الإنسانية التي هي الحواس الخمس الظاهرة، والخمس الباطنة، والعاقلة النظرية والعملية. ولهذا قال عليه الصلاة والسلام: « من فُقِدَ حسّاً فَقَدْ فَقَدَ علماً

« { قد علم كل أُناسٍ مشربهم } أي: أهل كل علم مشربهم من ذلك العلم، كأهل الصناعات، والعلماء العاملين من مشرب العقل العمليّ، والحكماء والعارفين من النظريّ والصباغين من علم الألوان المبصرة، وأهل صناعة الموسيسقى من علم الأصوات وغير ذلك. وعلى التأويل الثاني: أمرنا موسى القلب، بضرب عصا النفس على حجر الدماغ، { فانفجرت منه اثنتا عشرة عيناً } هي المشاعر المذكورة التي تختص كلّ واحدة منها بقوّة من القوى الاثنتي عشرة المذكورة التي هي أسباط يعقوب الروح، قد علم كل منها مشربه { كُلُوا واشربُوا من رِزقِ الله } أي: انتفعوا بما رزقكم الله من العلم والعمل والأحوال والمقامات.

{ ولا تعثوا في الأرضِ مُفْسدين } ولا تبالغوا في الفساد بالجهل.

{ وَإِذْ قُلْتُمْ يَٰمُوسَىٰ لَن نَّصْبِرَ عَلَىٰ طَعَامٍ وَاحِدٍ
فَٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنْبِتُ ٱلأَرْضُ مِن بَقْلِهَا وَقِثَّآئِهَا
وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَا قَالَ أَتَسْتَبْدِلُونَ
ٱلَّذِي هُوَ أَدْنَىٰ بِٱلَّذِي هُوَ خَيْرٌ ٱهْبِطُواْ مِصْراً
فَإِنَّ لَكُمْ مَّا سَأَلْتُمْ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلذِّلَّةُ وَٱلْمَسْكَنَةُ وَبَآءُو بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُواْ يَكْفُرُونَ
بِآيَاتِ ٱللَّهِ وَيَقْتُلُونَ ٱلنَّبِيِّينَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ
ذَٰلِكَ بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعْتَدُونَ }

{ لنْ نصبرَ على طعامٍ واحدٍ } أي: الغذاء الروحاني من العلم والمعرفة والحكمة

{ فَادعُ لنا ربك } أي: اسأل لنا ربّك يوسع علينا، ويرخص لنا فيما تنبته أرض نفوسنا من الشهوات الخبيثة واللذات الخسيسة والتفكهات الباردة وكل ما فيه حظ النفس وعذابها.{ اهبطوا مِصْراً } أي: مدينة البدن { فإنّ لكم } فيها { ما سألتُم وضُرِبَتْ عليهم الذلة } اللازمة لاتباع الشهوات والحرص في المقتنيات { والمَسكنةُ } أي: دوام الاحتياج ودوام سكنى الجهة السفلية { وَبَاؤُوا } واستحقوا { بغَضَبٍ } البعد والطرد { مِن الله ذلكَ } باحتجابهم عن آيات الله وتجلياته، والباقي ظاهر. وعلى الوجه الثاني: وبقتلهم أنبياء القلوب بغير أمر ثابت لهم عليهم يتوجه به ذلك بل بصرف باطلهم ذلك بعصيانهم أوامر القلوب والعقول واعتدائهم عن ظهورهم.

{ إِنَّ ٱلَّذِينَ آمَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلنَّصَارَىٰ وَٱلصَّابِئِينَ مَنْ آمَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحاً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ }

{ إن الذينَ آمنُوا } الإيمان التقليديّ، والظاهريين والباطنيين والذين تعبدوا ملائكة العقول، لاحتجابهم بالمعقولات وكواكب القوى النفسانية لاحتجابهم بالوهميات والخياليات { مَن آمَن } منهم الإيمان الحقيقي { بالله } والمعاد وأيقنوا علم التوحيد والقيامة، وعملوا ما يصلحهم للقاء الله ونيل السعادة في المعاد، فلهم الثواب الباقي الروحانيّ عند ربهم من جنّات الأفعال والصفات { ولا خوفٌ عليهِم } من عقوبة أفعالهم { ولا هم يحزنون } بفوات تجليّات الصفات. والجملة اعتراض بين خطاب بني إسرائيل.

{ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ ٱلطُّورَ خُذُواْ مَآ ءَاتَيْنَٰكُم بِقُوَّةٍ وَٱذْكُرُواْ مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ }

{ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ مِّن بَعْدِ ذٰلِكَ فَلَوْلاَ فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَ كُنْتُم مِّنَ ٱلْخَاسِرِينَ }

{ وإذْ أخَذْنا ميثَاقَكُم } أي: عهدكم السابق أو اللاحق المأخوذ منهم في التوراة أو بدلائل العقل بتوحيد الأفعال والصفات { ورَفَعنا فوقكم } طور الدماغ لتمكن

من فهم المعاني وقبولها. وقلنا { خذوا } أي: اقبلوا { ما آتيناكم } من التوراة أو كتاب العقل الفرقاني بجدّ { واذْكُروا } وعوا ما فيه من الحكم والمعارف والعلوم والشرائع، لكي تتقوا الشرك والجهل والفسق { ثم } أعرضتم { من بعدِ ذلك } بإقبالكم إلى الجهة السفلية { فَلولا فضلُ الله عليكُم } بهدايته العقل { ورحمته } بنور البصيرة والشرع { لكنتُم مِن الخَاسرين }.

{ وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ ٱلَّذِينَ ٱعْتَدَواْ مِنكُمْ فِي ٱلسَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُواْ قِرَدَةً خَاسِئِينَ }{ فَجَعَلْنَاهَا نَكَالاً لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهَا وَمَا خَلْفَهَا وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ }

{ ولقَد علِمْتم الذين اعتدوا } اعلم: أن الناس لو أهملوا وتركوا وخلّي بينهم وبين طباعهم لتوغلوا وانهمكوا في اللذات الجسمانية، والغواشي الظلمانية لضراوتهم بها واعتيادهم من الطفولية والصبا حتى زالت استعداداتهم وانحطوا عن رتبة الإنسانية، فمسخوا كما قال تعالى:

{مَن لَّعَنَهُ ٱللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمُ ٱلْقِرَدَةَ وَٱلْخَنَازِيرَ } [المائدة: ٦٠]، وإن حفظوا وروّعوا بالسياسات الشرعية والعقلية والحكم والآداب والمواعظ الوعدية والوعيدية ترقوا وتنوّروا، كما قال الشاعر:

هي النفس إن تهمل تلازم خساسة وإن تبتعث نحو الفضائل تبهج

فلهذا وضعت العبادات، وفرض عليهم تكرارها في الأوقات المعينة لتزول عنهم بها درن الطباع المتراكم في أوقات الغفلات وظلمة الشواغل العارضة في أزمنة اتخاذ اللذات، وارتكاب الشهوات. فتتنوّر بواطنهم بنور الحضور، وتنتعش قلوبهم بالتوجه إلى الحق عن السقوط في هاوية النفس والعثور، وتستريح بروح الروح، وحبّ الوحدة عن وحشة الهوى، وتعلق الكثرة، كما قال عليه السلام: « الصلاة بعد الصلاة كفارة ما بينهما من الصغائر إذا اجتنبت الكبائر

« ألا ترى كيف أمرهم عند الحدث الأكبر ومباشرة الشهوة بتطهير الغسل، وعند الأصغر بالوضوء، وعند الاشتغال بالأشغال الدنيوية في ساعات اليوم والليل بالصلوات الخمس المزيلة لكدورات الحواس الخمس الحاصلة في النفس بسببها، كل بما يناسبه، فلذلك وضعوا بإزاء وحشة تفرقة الأسبوع وظلمة انفرادهم

بدؤوب الأشغال والمكاسب، والملابس البدنية، والملاذ النفسانية، اجتماع يوم واحد على العبادة والتوجه لتزول وحشة التفرقة بأنس الاجتماع وتحصل بينهم المحبة والأنس وتزول ظلمة الاشتغال بالأمور الدنيوية والإعراض عن الحق بنور العبادة والتوجه، ويحصل لهم التنوّر فوضع لليهود أول أيام الأسابيع لكونهم أهل المبدأ والظاهر، وللنصارى بعده لأنهم أهل المعاد والروحاني والباطن المتأخرين عن المبدأ والظاهر بالنسبة إلينا، وللمسلمين آخرها الذي هو يوم الجمعة لكونهم في آخر الزمان أهل النبوّة الخاتمة وأهل الوحدة الجامعة للكل، وإن جعل السبت آخر الأيام - على ما نقل أنه السابع - فبالنسبة إلى الحقّ تعالى لأن عالم الحسّ الذي إليه دعوة اليهود هو آخر العوالم، وعالم العقل الذي إليه دعوة النصارى أوّلها، والجمعة هي يوم الجمع والختم، فمن لم يراع هذه الأوضاع والمراقبات أصلاً زال نور استعداده، فمسخ كما مسخت أصحاب السبت. نهوا عن الصيد، أي: إحراز الحظوظ النفسانية واقتنائها في يوم السبت، فاحتالوا فيه فاتخذوا حياضاً على ساحل البحر ليحبسوا فيها الحيتان ويصطادوها يوم الأحد. أي: ادخروا في سائر أيام الأسبوع من ماء بحر الهيولى الجرمية والجرمانيات المادية في حياض بيوتهم فجمعوا بها أنواع المطاعم والمشارب والملاذ والملاهي، فاجتمع لهم كل الحظوظ النفسانية في يوم السبت ما اكتفوا به سائر أيام الأسبوع ليفرغوا فيها إلى الاشتغال بالمكاسب والصناعات والمهن، كحما هو عادة اليهود اليوم وشطار المسلمين في الجماعات فإن أكثر فسقهم فيها، فذلك اعتيادهم في السبت وهو يدل على أنّ جميع أوقات حضورهم مصروفة في هموم الدنيا وطلب حظوظ النفس والهوى.

{ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُواْ بَقَرَةً قَالُوا أَتَتَّخِذُنَا هُزُواً قَالَ أَعُوذُ بِٱللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْجَاهِلِينَ}

{ قَالُواْ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِيَ قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لاَّ فَارِضٌ وَلاَ بِكْرٌ عَوَانٌ بَيْنَ ذٰلِكَ فَٱفْعَلُواْ مَا تُؤْمَرونَ }

{ قَالُواْ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا لَوْنُهَا قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَآءُ فَاقِعٌ لَّوْنُهَا تَسُرُّ ٱلنَّاظِرِينَ }

{ قَالُواْ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِيَ إِنَّ ٱلْبَقَرَ تَشَابَهَ عَلَيْنَا وَإِنَّآ إِن شَآءَ ٱللَّهُ لَمُهْتَدُونَ }

{ قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لاَّ ذَلُولٌ تُثِيرُ ٱلأَرْضَ وَلاَ تَسْقِي ٱلْحَرْثَ مُسَلَّمَةٌ لاَّ شِيَةَ فِيهَا قَالُواْ ٱلآنَ جِئْتَ بِٱلْحَقِّ فَذَبَحُوهَا وَمَا كَادُواْ يَفْعَلُونَ }

{ وإذْ قال موسى لِقومِه إن الله يَأمركم أنْ تذبحوا بَقرةً } هي النفس الحيوانية، وذبحها قمع هواها الذي هو حياتها ومنعها عن أفعالها الخاصة بها بشفرة سكين الرياضة { قالوا أتتخذنا } مهزوّاً بنا، وتستخفنا لنطيعك ونتسخر لك كما جاء في حق فرعون: فاستخف قومه فأطاعوه. { قال أعوذُ بالله أنْ أكونَ مِن الجاهلين } الاستخفاف والاستهزاء وطلب الترؤس هو فعل الجهال.

{ قالوا ادْعُ لنَا ربك يُبين لنا ما هِيَ } أي: سل لنا ربّك ما هي { إنهَا بقرةٌ لا فارِضٌ } أي: غير مسنّة لزوال استعدادها ورسوخ اعتقادها وضراوتها بعاداتها كما قيل: الصوفيّ بعد الأربعين بارد. { ولا بِكْرٌ } أي: فتيّة، لقصور استعدادها عما يراد منها وعسر احتمالها للرّياضة لغلبة القوى الطبيعية وقوتها فيها { عَوَانٌ } نصفة { بين } ما ذكر { صفراء }

لأن لون الجسم أسود لعدم النورية فيه أصلاً، ولون النفس النباتية أخضر لظهور النورية فيها، وغلبة السواد عليها لعدم إدراكها، ولون القلب أبيض لتجرّده عن الجسم، وقوّة إدراكه، وكمال نوريته.

فلزم أن يكون لون النفس الحيوانية في الحيوانات العجم أحمر لتركب نورية إدراكها وسواد تعلقها بالجسم، إذ الحمرة لون بين البياض والسواد ومركب منهما، لكن السواد فيه أكثر. وفي الإنسان أصفر لغلبة نورية إدراكها بمجاورة القلب، إذ الصفرة حمرة عليها البياض

{ فاقعٌ لونها } لصفاء استعدادها وشعشعان شعاع نور القلب عليها { تسر الناظرينَ } لقوة نور استعدادها وتشعشعها والناظرون هم الكاملون المطلعون على الاستعدادات لوجوب محبتهم للمستعدّين المستبصرين وذوقهم بحضورهم.

{ إنّ البقَرَ تشابه علينا } لكثرة البقر الموصوف بهذه الصفة، أي: كثرة أصناف المستعدّين وما كل مستعدّ طالباً. كما قيل: ما كلّ طبع قابلاً ولا كل قابل طالباً،

ولا كلّ طالب صابراً، ولا كلّ صابر واجداً.
{ وإنّا إنْ شاء الله لمهتدون } إلى ذبح هذه البقرة. وقولهم: إن شاء الله، دليل على استعدادهم لعلمهم بأن الأمور متعلقة بمشيئة الله، ميسّرة بتوفيقه.
ولهذا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:لو لم يستثنوا لما ظفروا بها أبد الدهر .
{ لا ذَلولٌ } غير مذللة، منقادة لأمر الشرع { تثيرُ } أرض الاستعداد بالأعمال الصالحة والعبادات { ولا تسقي } حرث المعارف والحكم التي فيها بالقوّة باستقاء ماء العلوم الكسبية والأفكار الثاقبة، لعدم احتياج مثل هذه البقرة إلى الذبح { مُسلمةٌ } سلمها أهلها لترعى، غير مسوسة برسوم وعادات وشرائع وآداب { لا شِيةَ فيها } أي: لم يرسخ فيها اعتقاد ومذهب لعدم صلاحيتها للذبح.
{ جِئتَ بالحقِ } الثابت في بيان المستعد المشتاق، الطالب للكمال { فذبحوها وما كادوا يَفعلون } لكثرة سؤالاتهم ومبالغاتهم وتعمقهم في البحث والتفتيش عن حالها، وفضول كلامهم في بيانها التي تدلّ على عدم انقياد النفس بالسرعة، وإبائها للرياضة، وغلبة الفضول عليها، وتعذر مطلوبهم، وتأخرهم عنه بسبب ذلك.

{ وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْساً فَٱدَّارَأْتُمْ فِيهَا وَٱللَّهُ مُخْرِجٌ مَّا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ }

{ وإذ قتلتم نفساً فادّارءْتُم فيها } إشارة إلى بيان سبب الأمر بذبح البقرة، وهو أنه كان شيخ موسر من بني إسرائيل وله ابن شاب فقتله ابنا عمه، أو بنو عمه، طمعاً في ميراث أبيه وطرحوه بين أسباط بني إسرائيل على الطريق، فتدافعوا في قتله، فورد الأمر بذبح البقرة وضربه ببعضها ليحيا فيخبر بالقاتل.
فالشابّ هو القلب الذي هو ابن الروح الموسر بأموال المعارف والحكم، وقتله منعه عن حياته الحقيقية وإزالة العشق الحقيقي الذي هو حياته عنه باستيلاء قوّتي الشهوة والغضب اللذين هما ابنا عمه النفس الحيوانية أو جميع قواها عليه، إذ الروح والنفس أخوان باعتبار فيضانهما وولادتهما من أب هو العقل الفعال المسمّى { روح القدس } على قياس ما ورد في الحديث: « أكرموا عمتكم النخلة، فإنها خلقت من بقية طين آدم « فإن النفس النباتية الكاملة التي إذا كانت عمّة النفس الإنسانية، كانت النفس الحيوانية عمّتها.

قتلاه طمعاً في استعمال المعاني العقلية والحكم التي هي ميراث أبيه في تحصيل مطالبهما وكمالاتهما ولذاتهما بأنواع الحيل والمكر وصناعة الفكر. وطرحاه على طرق القوى الروحانية والطبيعية بين محالها وتدافعهم في قتله هو إحالة كلّ قوة منها الفساد والإثم إلى الأخرى، والصلاح والبراءة إلى نفسها لتنازعها وتجاذبها في أفعالها ولذاتها واحتجاب كلّ منها بما يلائمها عما يلائم الأخرى ورؤيتها الصلاح فيه والفساد في ضدّه. { والله مُخْرِجٌ ما كنتم تكتُمُونَ }
من نور القلب وحياته، بالاستيلاء عليه.
{ فَقُلْنَا ٱضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا كَذَٰلِكَ يُحْيِي ٱللَّهُ ٱلْمَوْتَىٰ وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ }
{ فقلنا اضربوه ببعضها } بذنبها أو لسانها، على ما ورد في القصة، ليحيا، فيخبركم بالقاتل. وضرب الذنب إشارة إلى إماتة النفس وتبقية أضعف قواها وآخرها، وجهتها التي تلي النفس النباتية ورابطتها بها كالحسّ اللمسيّ مثلاً وسائر الحواس الظاهرة فإنها ذنبها. وضرب اللسان إشارة على تعديل أخلاقها وقواها وتبقية فكرها الذي هو لسانها، وهما طريقان: طريق الرياضة وإماتة الغضب والشهوة،
كما هو طريق التصوّف وهو بالنفوس القوية الجانية المستولية الطاغية أولى، وطريق التحصيل وتعديل الأخلاق كما هو سبيل العلماء والحكماء، وهو بالنفوس الضعيفة والصافية المنقادة اللينة أولى. فضربوه، فقام وأوداجه تشخب دماً، وأخبر بقاتليه، أي: صار حياً قائماً بالحياة الحقيقية وعليه أثر القتل لتعلقه بالبدن وتلوّثه بمطالبه بحسب الضرورة، وعرف حال القوى البدنية في منعها إياه عن إدراكه وحجبها له عن نوره.
{ كذلكَ يُحْيي الله المَوتى } أي: مثل ذلك الإحياء العظيم، يحيي الله موتى الجهل بالحياة الحقيقية العملية { ويُرِيكم } دلائله وآيات صفاته لكي تعقلون.
{ ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِّن بَعْدِ ذَٰلِكَ فَهِيَ كَٱلْحِجَارَةِ
أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً وَإِنَّ مِنَ ٱلْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ ٱلْأَنْهَارُ
وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ ٱلْمَآءُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ
مِنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ وَمَا ٱللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ }

{ ثـم قسَـتْ قُلوبُكـم } أي: بعـد تطـاول الأمـد، وتراخـي مـدّة الفـترة، وتتابـع التلوينـات، وتـوالي النزغـات، قسـت قلوبكـم بكـثرة مباشرة الأمـور واللـذات البدنيـة، وملابسـة الصفـات النفسـانية { فهـي كالحجـارةِ } مـن عـدم تأثرهـا بالنقـش العلميّ { أو } شيء { أشـد قسـوةً } منهـا، كالحديـد مثـلاً. ثـم بـين أنّ الحجـارة ألـين منهـا بـأنّ حالهـا منحـصر في الوجـوه الثلاثـة المذكـورة، فأفـاد أن القلـوب أربعـة: قلـب تنـوّر بالنـور الإلهـيّ منطمسـاً فيـه، واسـتغرق في البحـر العلميّ منغمسـاً فيـه، فانفجـرت منـه أنهـار العلـم، فمـن شرب منهـا يحيـا أبـداً كقلـوب أهـل اللـه السـابقين وهـو المشـار إليـه بقولـه تعـالى:

{ وإنّ مـنَ الحجـارةِ لَـمَا يتفجّـرُ منـه الأنهـارُ } وقلـب ارتـوى مـن العلـم، فحفـظ ووعـى، فانتفـع بـه النـاس، كقلـوب العلـماء الراسـخين وهـو المشـار إليـه بقولـه: { وإن مِنهـا لَمَـا يَشـقّقُ فيخـرُجُ منـه المَـاءُ } وقلـب خشـع وانقـاد واستسـلم وأطـاع، كقلـوب العبـاد والزهّـاد مـن المسـلمين، وهـو المشـار إليـه بقولـه: { وإنّ منهـا لَمَـا يَهبـطُ مـن خَشـيةِ اللـه } وأدنى أحـوال حالـه هـو الهبـوط مـن خشـية اللـه، أي: الانقيـاد لمـا أمـر اللـه مـن الميـل إلى المركـز بالسلاسـة. وبقـي قلـب لم يتأثـر قـطّ بالعلـم ولم يتلـين بالخـوف آبيـاً للهـدى، متكـبراً، ممتلئـاً بالهـوى، متمـرّداً، فـلا يوجـد مـن الجواهـر مـا يشـبهه لقبـول جميعهـا مـا أمـر اللـه بـه، فكيـف بالحديـد الـذي يلـين لمـا يـراد منـه؟ قـال النبـي عليـه السـلام:

« مثـل مـا بعثنـي اللـه بـه مـن الهـدى والعلـم كمثـل الغيـث الكثـير، أصـاب أرضـاً فكانـت طائفـة منهـا طيبـة قبلـت المـاء وأنبتـت الـكلأ والعشـب الكثـير، وكانـت منهـا طائفـة أخـاذات أمسـكت المـاء، فنفـع اللـه بهـا الناس فشربـوا وسـقوا وزرعـوا، وأصاب منهـا طائفـة أخـرى إنمـا هـي قيعـان لا تمسـك مـاء ولا تنبـت كلأ. فذلـك مثـل مـن فقه في الديـن فعلـم وعلّـم، ومثـل مـن لم يرفـع بذلـك رأسـاً ولم يقبـل هـدى اللـه الـذي أرسـلت بـه « فبـين عليـه السـلام القلـوب الثلاثـة الأخـيرة، والأول

من الأربعة هو القلب المحمديّ.

{ ومـا اللـه بغافِـلٍ عـما تَعْمَلـونَ } تهديـد للقاسـية قلوبهـم، أي: اللـه مطلـع فيحجبهـم عـن نـوره ويتركهـم في ظلماتهـم، والآيـات التـي تتلوهـا ظاهرة.

{ أَفَتَطْمَعُونَ أَن يُؤْمِنُواْ لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلاَمَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِن بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ }

{ وَإِذَا لَقُواْ ٱلَّذِينَ آمَنُواْ قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلاَ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ قَالُوا أَتُحَدِّثُونَهُم بِمَا فَتَحَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمْ لِيُحَآجُّوكُم بِهِ عِندَ رَبِّكُمْ أَفَلاَ تَعْقِلُونَ }

{ أَوَلاَ يَعْلَمُونَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ }

{ وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لاَ يَعْلَمُونَ ٱلْكِتَابَ إِلاَّ أَمَانِيَّ وَإِنْ هُمْ إِلاَّ يَظُنُّونَ }

وتأويل الأولى:

{ أفتطمعُونَ } أن يوحدوا بتوحيد الصفات لأجل هدايتكم { وقد كان فريقٌ منهم } يقبلون صفات الله ثم يحرّفونها بنسبتها إلى أنفسهم { من بعد ما عَقَلُوهُ } أي: علموا توحيد الصفات وما وجدوه بالعيان { وهم يعلمونَ } أن تلك الصفات لله، لكن نفوسهم ينتحلونها بالإشراك حالة ذهول العقل عن استيلائها على القلب لعدم كون توحيدهم ملكة وحالاً، بل علماً.

{ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ ٱلْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَـٰذَا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ لِيَشْتَرُواْ بِهِ ثَمَناً قَلِيلاً فَوَيْلٌ لَّهُمْ مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُمْ مِّمَّا يَكْسِبُونَ }

{ فويل للذين يكتبون الكتاب بأيديهم } ،

أي: ويل لمن بقيت منه بقايا صفات النفس وهو لا يشعر بها أو يشعر فيحتال أو لا يحتفل بها فيفعل ويقول بنفسه وصفاتها، ويدّعي أنه من عند الله ليكتسب به حظاً من حظوظ النفس، بل عين ذلك القول والفعل ونسبته إلى الله حظ تامّ لها وذنب لا ذنب أقوى منه. ويمكن أن تؤوّل الآيات الثلاث الأول على الوجه الثاني المبني على التطبيق فيقال: أفتطمعون، أيتها القوى الروحانية، أن تؤمن هذه القوى النفسانية لأجل هدايتكم منقادة. وقد كان فريق منهم كالوهم والخيال يسمعون كلام الله، أي: يتلقفون المعاني الواردة من عند الله على القلب ثم تحرّفونه بالمحاكاة وكثرة الانتقالات وجعلها جزئية، وإعطائها أحكام الجزئيات كما في المنامات والواقعات. من بعد ما عقلوه، أي: أدركوه على حاله وهم يعلمون تحريفها وانتقالاتها إلى اللوازم والأشباه والأضداد.

وإذا لقوكم بالتوجه نحوكم، وتلقن مدركاتكم عند حضوركم، ومشابعتها إياكم، وعروجها، إذعنوا وصدّقوا. { وإذا خلا بعضهم إلى بعض } في أوقات الغفلات، منع بعضهم بعضاً عن إلقاء ما فتح الله عليهم من مدركاتهم المحسوسة والمخيلة والموهومة ليركبوا منها الحجج ويحاجوهم بها في الحضرة الروحانية عند ربهم. { أو لا يَعْلَمونَ أن الله يَعْلَم ما يُسِرّون } عنكم من مدركاتهم { وما يُعْلِنون } فيطلعكم عليها وينصركم عليهم { ومنهم } أي: القوى الطبيعية الغير المدركة والحواس الظاهرة { لا يعلمون } كتاب المعاني المعقولة { إلا أمانِي } لذاتهم وشهواتهم وما يتيقنون خاتمة عاقبتها ومضرّتها
في طريق الكمال، بل يظنون نفعها وخيريتها.

{ وَقَالُواْ لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلاَّ أَيَّاماً مَّعْدُودَةً قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِندَ ٱللَّهِ عَهْداً فَلَنْ يُخْلِفَ ٱللَّهُ عَهْدَهُ أَمْ تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لاَ تَعْلَمُونَ }

{ بَلَىٰ مَن كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَاطَتْ بِهِ خَطِيـئَتُهُ فَأُوْلَـئِكَ أَصْحَابُ ٱلنَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ } { وَٱلَّذِينَ آمَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّالِحَاتِ أُولَـئِكَ أَصْحَابُ ٱلْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ }

{ وقالوا لن تمسنا النارُ } إلى آخر الآية. اعتقدوا أن زمان العقاب يساوي زمان مباشرة الذنب، ولم يعلموا أنّ الذنب إذا كان معتقداً فاسداً، ثابتاً في النفس، وهيئة راسخة فيها، وصار ملكة كصورة ذاتية لها، كان سبباً لتخليد العذاب. وهو معنى قوله تعالى: { وأحاطَتْ به خطِيئَتُه } أي: استولت عليه واستوعبت كالسواد المستوعب للثوب. ولو لم يكن كذلك لما كانت الطاعة أيضاً سبب خلود الثواب.

{ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لاَ تَعْبُدُونَ إِلاَّ ٱللَّهَ وَبِٱلْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً وَذِي ٱلْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَٱلْمَسَاكِينِ وَقُولُواْ لِلنَّاسِ حُسْناً وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلٰوةَ وَآتُواْ ٱلزَّكَاةَ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلاَّ قَلِيلاً مِّنْكُمْ وَأَنْتُمْ مُّعْرِضُونَ }

{ وإذْ أَخَذْنا مِيثَاق بَنِي إسرَائِيلَ } عاهدناهم بالتوحيد. ومقتضى التوحيد ملاحظة الحضرة الربوبية ومشاهدة تجلياتها في مظاهرها، والقيام بحقها على حسب ظهور أوصافها.

وأول من يظهر عليه صفات الربوبية وآثارها في الظاهر وعالم الشهادة هما الأبوان لمكان النسبة والتربية والعطوفية، التي هي آثار الموجد الربّ الرحيم فيهما له. فالإحسان إليهما يجب أن يلي عبادة الله بحسب ظهوره في مظهريهما، ثم ذوي القربى لظهور المواصلة والمرحمة الإلهية فيهم بالنسبة إليه، ثم اليتامى لاختصاص ولايته وحفظه تعالى بهم فوق من عداهم إذ هو وليّ من لا وليّ له، ثم المساكين لتوليته رعايتهم ورزقهم بنفسه بلا واسطة غيره، ثم سائر الناس للرحمة العامّة بينهم التي هي ظلّ الرحمانية.فالإحسان المأمور به في الآية على درجاته وتفاضله في مراتبه هو تخصيص العبادة بالله مع مشاهدة صفاته في مظاهرها ورعاية حقوق تجلياتها وأحكامها.

{ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ لاَ تَسْفِكُونَ دِمَآءَكُمْ وَلاَ تُخْرِجُونَ أَنْفُسَكُمْ مِّن دِيَارِكُمْ ثُمَّ أَقْرَرْتُمْ وَأَنْتُمْ تَشْهَدُونَ }

{ وإذ أخذنا ميثاقَكم لا تسفِكُون دِماءَكُم } بهواكم إلى مقارّ النفس وصفاتها وميلكم إلى هواها وطباعها، ومتاركتكم حياتكم الحقيقية، وخواص أفعالكم لأجل تحصيل مآربها ولذاتها { ولا تُخْرِجون أنفُسَكُم } أي: ذواتكم. إذ يعبر بالنفس عن الذات { من دِيَارِكُم } أي: مقارّكم الروحانية والروضات القدسية { ثم أقْرَرْتم } بقبولكم لذلك { وأنتُم تَشْهدون } عليه باستعداداتكم الأوليّة وعقولكم الفطرية.

{ ثُمَّ أَنْتُمْ هَـٰؤُلاءِ تَقْتُلُونَ أَنْفُسَكُمْ وَتُخْرِجُونَ فَرِيقاً مِّنْكُمْ مِّن دِيَارِهِمْ تَظَاهَرُونَ عَلَيْهِمْ بِٱلإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَإِن يَأْتُوكُمْ أُسَارَىٰ تُفَادُوهُمْ وَهُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ إِخْرَاجُهُمْ أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ ٱلْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ فَمَا جَزَآءُ مَن يَفْعَلُ ذٰلِكَ مِنكُمْ إِلاَّ خِزْيٌ فِي ٱلْحَيَاةِ ٱلدُّنْيَا وَيَوْمَ ٱلْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰ أَشَدِّ ٱلْعَذَابِ وَمَا ٱللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ } { أُولَـٰئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشْتَرَوُاْ ٱلْحَيَاةَ ٱلدُّنْيَا بِٱلآخِرَةِ فَلاَ يُخَفَّفُ عَنْهُمُ ٱلْعَذَابُ وَلاَ هُمْ يُنصَرُونَ }

{ ثم أنتُم هؤلاءِ } الساقطون عن الفطرة، المحتجبون عن نور الاستعداد الأصليّ { تَقْتلون أنْفُسَكم } بغوايتكم ومتابعتكم للهوى { وتُخْرجون فَرِيقاً منكُم من دِيَارهم }

أوطانهم القديمة الأصلية، بإغوائهم وإضلالهم وتحريضهم على ارتكاب المعاصي واتباع الهوى { تَظَاهرون عليهم } تتعاونون عليهم { بالإثْمِ } بارتكاب الفواحش والمعاصي ليروكم فيتبعوكم فيها { والعدوانِ } والاستطالة على الناس ليتعدّى إليهم ظلمكم، وإلزامكم إياهم رذائل القوّتين البهيمية والسبعية وتحريضكم لهم عليها، وتزيينكم لهم إياها كما هو عادة ملاحدة المسلمين من أهل الإباحة المدّعين للتوحيد.

{ وإن يأتُوكم أسَارى } في قيد تبعات ارتكبوها وشين أفعالهم القبيحة، أخذتكم الندامة وعيرتهم عقولهم وعقول أبناء جنسهم بما لحقهم من العار والشنار { تُفادُوهم } بكلمات الحكمة والموعظة والنصيحة الدالة على أنّ اللذات المستعلية هي: العقلية والروحية وعاقبة اتباع الهوى والنفس والشيطان وخيمة، ومشاركة البهائم والهوامّ في أفعالها مذمومة رديئة، فيتيقظوا بها ويتخلصوا من قيد الهوى سويعة كما نشاهد من حال علوج مدّعي التوحيد والمعرفة والحكمة وأتباعهم في زماننا هذا{ أَفَتُؤمنون بِبَعض الكِتاب } أي: كتاب العقل والشرع قولاً وإقراراً، فتقرون به وتصدّقونه وهو أنّ اتباع الهوى والنفس مذموم، موجب للوبال والهلاك والخسران { وتَكْفرون بِبعض } فعلاً وعملاً فلا تنتهون عما نهاكم عنه، وهو إباحتهم واستحلالهم للمحرّمات والمنهيات

{ فما جَزاء من يَفعل ذلك مِنكم إلا خِزْيٌ } افتضاح وذلة { في الحياة الدنيا ويوم القيامة } أي: حال المفارقة التي هي القيامة الصغرى { يُرَدون إلى أشد العذابِ } الذي هو تعذيبهم بالهيئات المظلمة الراسخة في نفوسهم واختراقهم بنيرانها أو مسخهم عن صورهم بالكلية، وتضاعف البليّة

{وما الله بِغَافل } عن أعمالكم، أحصاها وضبطها

في أنفسكم وكتبها عليكم، كما قال تعالى:

{ يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ ٱللَّهُ جَمِيعاً فَيُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا أَحْصَاهُ ٱللَّهُ وَنَسُوهُ } [المجادلة، الآية: ٦].

{ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَىٰ ٱلْكِتَابَ وَقَفَّيْنَا مِن بَعْدِهِ بِٱلرُّسُلِ وَآتَيْنَا عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱلْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ أَفَكُلَّمَا جَآءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لاَ تَهْوَىٰ أَنْفُسُكُمُ ٱسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقاً كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقاً تَقْتُلُونَ }

{ وَقَالُواْ قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَل لَّعَنَهُمُ ٱللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَقَلِيلاً مَّا يُؤْمِنُونَ }
{ وَلَمَّا جَآءَهُمْ كِتَابٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ وَكَانُواْ مِن قَبْلُ
يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَلَمَّا جَآءَهُمْ مَّا عَرَفُواْ كَفَرُواْ بِهِ فَلَعْنَةُ ٱللَّهِ
عَلَى ٱلْكَافِرِينَ }{ بِئْسَمَا ٱشْتَرَوْاْ بِهِ أَنْفُسَهُمْ أَن يَكْفُرُواْ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بَغْياً أَن
يُنَزِّلُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِ فَبَآءُو بِغَضَبٍ عَلَىٰ غَضَبٍ
وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ مُّهِينٌ }{ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُواْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُواْ نُؤْمِنُ بِمَآ
أُنزِلَ عَلَيْنَا وَيَكْفُرونَ بِمَا وَرَآءَهُ وَهُوَ ٱلْحَقُّ مُصَدِّقاً لِّمَا مَعَهُمْ قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ
أَنْبِيَآءَ ٱللَّهِ مِن قَبْلُ إِن كُنْتُمْ مُّؤْمِنِينَ }{ وَلَقَدْ جَآءَكُمْ مُّوسَىٰ بِٱلْبَيِّنَاتِ ثُمَّ
ٱتَّخَذْتُمُ ٱلْعِجْلَ مِن بَعْدِهِ وَأَنْتُمْ ظَالِمُونَ }
{ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ ٱلطُّورَ خُذُواْ مَآ ءَاتَيْنَٰكُم بِقُوَّةٍ
وَٱسْمَعُواْ قَالُواْ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَأُشْرِبُواْ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ قُلْ
بِئْسَمَا يَأْمُرُكُمْ بِهِ إِيمَانُكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُّؤْمِنِينَ } { قُلْ إِن كَانَتْ لَكُمُ ٱلدَّارُ
ٱلآخِرَةُ عِندَ ٱللَّهِ خَالِصَةً مِّن دُونِ ٱلنَّاسِ فَتَمَنَّوُاْ ٱلْمَوْتَ إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ
} { وَلَنْ يَتَمَنَّوْهُ أَبَداً بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ بِٱلظَّالِمِينَ } { وَلَتَجِدَنَّهُمْ
أَحْرَصَ ٱلنَّاسِ عَلَىٰ حَيَاةٍ وَمِنَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُواْ يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ
سَنَةٍ وَمَا هُوَ بِمُزَحْزِحِهِ مِنَ ٱلْعَذَابِ أَن يُعَمَّرَ وَٱللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ }
{ قُلْ مَن كَانَ عَدُوّاً لِّجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَىٰ قَلْبِكَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ مُصَدِّقاً لِّمَا
بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ }{ مَن كَانَ عَدُوّاً للَّهِ وَمَلاۤئِكَتِهِ وَرُسُلِهِ
وَجِبْرِيلَ وَمِيكَٰلَ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَدُوٌّ لِّلْكَافِرِينَ }{ وَلَقَدْ أَنْزَلْنَآ إِلَيْكَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ وَمَا
يَكْفُرُ بِهَآ إِلاَّ ٱلْفَاسِقُونَ }{أَوَكُلَّمَا عَاهَدُواْ عَهْداً نَّبَذَهُ فَرِيقٌ مِّنْهُم بَلْ أَكْثَرُهُمْ
لاَ يُؤْمِنُونَ }{ وَلَمَّآ جَآءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ نَبَذَ
فَرِيقٌ مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ كَأَنَّهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ }

{ ولقد آتينا مُوسى الكِتاب } إلى قوله:

{ لا يعلمـون } ظاهـر ومعلـوم مـما مـرّ. والظاهـر أن جبرائيـل هـو العقـل الفعـال. وميكائيـل هـو روح الفلـك السـادس، وعقلـه المفيـض للنفـس النباتيـة الكليـة الموكلـة بـأرزاق العبـاد. وإسرافيـل هـو روح الفلـك الرابـع، وعقلـه المفيـض للنفـس الحيوانيـة الكليـة، الموكلـة بالحيوانـات. وعزرائيـل هو روح الفلك السـابع الموكل لالأرواح الإنسـانية كلهـا، يقبضهـا بنفسـه أو بالوسـايط التـي هـي أعوانـه ويسـلمها إلى اللـه تعـالى.

{ وَٱتَّبَعُواْ مَا تَتْلُواْ ٱلشَّيَـٰطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَـٰنَ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَـٰنُ وَلَـٰكِنَّ ٱلشَّيَـٰطِينَ كَفَرُواْ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحْرَ وَمَآ أُنْزِلَ عَلَى ٱلْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَـٰرُوتَ وَمَـٰرُوتَ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولاَ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلاَ تَكْفُرْ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَزَوْجِهِ وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلاَّ بِإِذْنِ ٱللَّهِ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلاَ يَنفَعُهُمْ وَلَقَدْ عَلِمُواْ لَمَنِ ٱشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي ٱلآخِرَةِ مِنْ خَلَـٰقٍ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْاْ بِهِ أَنْفُسَهُمْ لَوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ }

{ واتبعـوا } أي: اتبـع اليهـود والقـوى الروحانيـة { مـا تتلـوا } شـياطين الإنـس الذيـن هـم المتمـرّدة العصـاة الأشرار، الأقويـاء، وشـياطين الجـنّ وهـم الأوهـام والخيـالات والمتخيـلات المحجوبـة عـن نـور الـروح، العاصيـة لأمـر العقـل المتمـرّدة عـن طاعـة القلـب { عـلى } عهـد { ملـك سـليمان } النبـيّ أو سـليمان الـروح مـن كتـب السـحر وعلومـه، يزعمـون أنـه علـم سـليمان وبـه اسـتولى عـلى الملـك وسـخّر مـا سـخّر مـن الجـنّ والإنـس والطـير وعلـم الحيـل والشـعبذة والموهومـات والمتخيـلات والسفسـطة. { ومـا كفـر سـليمان } بإسـناد التأثـير إلى غـير اللـه، إذ السـحر كفـر واحتجـاب عـن مؤثريـة اللـه، بإسـناد التأثـير إلى غـيره { ولكـنّ الشـياطين كفـروا } احتجبـوا ولم يعلمـوا أن لا مؤثـر إلا اللـه { يعلمـون النـاس السـحر ومـا أنـزل عـلى الملكـين } أي: العقـل النظـري والعمـليّ المائلـين إلى النفـس المنكوسـين مـن بـئر الطبيعـة لتوجههـما إليهـا باسـتجذاب النفـس إياهـما إليهـا { ببابـل } الصـدر المعذبـين بضيـق المـكان بـين أبخـرة المـودّ وأدخنـة نـيران الشـهوات مـن العلـوم والأعـمال مـن بـاب الحيـل والنيرنجـات

والطلسمات على التأويلين { وما يعلمان من أحد حتى يقولا إنما نحن فتنة } امتحان وبلاء من الله لقوّة النورية وبقية الملكوتية فيهما، فينبهان على حالهما بالنور العقليّ { فلا تكفر } باستعمال هذا العلم في المفاسد والمناهي وإسناد التأثير إليه { فيتعلمون منهما ما يفرّقون به بين } القلب والنفس، وبين الروح والنفس، وتكدير القلب { وما هم بضارّين به من أحد إلا بإذن الله }
أي: إلا إذا أراد الله أن يضرّه عند ذلك الفعل، فيفعل ما يريد ويكون زيادة ابتلاء للساحر وإمهالاً له في كفره واحتجابه لرؤيته ذلك من تأثير سحره. { ويتعلمون ما يضرّهم } بزيادة الاحتجاب وشدّة الميل والهوى { ولا ينفعهم } في رفع الحجاب برؤيتهم ذلك ابتلاء من الله واستعاذاتهم بالله ليقيهم من شرّه،{ ولقد علموا لمن اشتراه ما له في الآخرة من خلاق } أي: نصيب، لإقباله على النفس والهوى بالكلية واستعمال ذلك في اكتساب حطام الدنيا وتمتعاتها.

{ وَلَوْ أَنَّهُمْ آمَنُواْ وَٱتَّقَوْا لَمَثُوبَةٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ خَيْرٌ لَّوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ }

{ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَقُولُواْ رَٰعِنَا وَقُولُواْ ٱنْظُرْنَا وَٱسْمَعُواْ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ }{ مَّا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَابِ وَلاَ ٱلْمُشْرِكِينَ أَن يُنَزَّلَ عَلَيْكُمْ مِّنْ خَيْرٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَٱللَّهُ يَخْتَصّ بِرَحْمَتِهِ مَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ }

{ ولو أنهم آمنوا } برؤية الأفعال من الله { واتقوا } الشرك بنسبة التأثير إلى غيره { لمثوبة } دائمة كائنة
{ من عند الله } من الأنوار الروحية، والمواهب الفتوحية، والأحوال القلبية، والمعارف الإلهية {خير لو كانوا يعلمون }.

{ مَا نَنسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَا أَوْ مِثْلِهَا أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ }

{ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ لَهُ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلأَرْضِ وَمَا لَكُمْ مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلاَ نَصِيرٍ }

{ ما ننسخ من آية } بإبطال حكمها وإبقاء لفظها ومعناها، أو لفظها دون

معناها، كآية الرجم { نأت بخير منها } أي: بما هو أصلح في بابه منها في بابها أو يساويها في الخير والصلاح. واعلم أن الأحكام المثبتة في اللوح المحفوظ إما مخصوصة وإما عامة، والمخصوصة إما أن تختص بحسب الأشخاص وإما أن تختص بحسب الأزمنة، فإذا نزلت بقلب الرسول فالتي تختص بالأشخاص تبقى بقاء الأشخاص، والتي تختص بالأزمنة تنسخ وتزال بانقراض تلك الأزمنة، قصيرة كانت كمنسوخات القرآن، أو طويلة كأحكام الشرائع المتقدمة. ولا ينافي ذلك ثبوتها في اللوح إذ كانت فيه كذلك، والعامة تبقى ما بقي الدهر كتكلم الإنسان واستواء قامته مثلاً.{ ألم تعلم أن الله له ملك السموات والأرض }
أي: له ملك سموات عالم الأرواح وأرض الأجساد وهو المتصرف فيهما بيد قدرته بل كله ظاهره وباطنه فلم يبق شيء غيره ينصركم ويليكم.

{ أَمْ تُرِيدُونَ أَن تَسْأَلُواْ رَسُولَكُمْ كَمَا سُئِلَ مُوسَىٰ مِن قَبْلُ وَمَن يَتَبَدَّلِ ٱلْكُفْرَ بِٱلإِيمَانِ فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ}{ وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّاراً حَسَداً مِّنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ مِّن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْحَقُّ فَٱعْفُواْ وَٱصْفَحُواْ حَتَّىٰ يَأْتِيَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ }
{ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَآتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَمَا تُقَدِّمُواْ لأَنْفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ }{ وَقَالُواْ لَن يَدْخُلَ ٱلْجَنَّةَ إِلاَّ مَن كَانَ هُوداً أَوْ نَصَارَىٰ تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ قُلْ هَاتُواْ بُرْهَانَكُمْ إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ }
{ بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ للَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرُهُ عِندَ رَبِّهِ وَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ }

{ أم تريدون أن تسألوا رسولكم } من قبل اللذات الدينية الحسيّة والشهوات الخسيسة النفسية { كما سئل موسى
من قبل ومن يتبدل } الظلمة ب النور { فقد ضلّ } الطريق المستقيم.
{ وقالوا لن يدخل الجنة إلا من كان هوداً أو نصارى } أي: قالت اليهود: لن يدخل الجنة المعهودة عندهم، أي: جنة الظاهر وعالم الملك التي هي جنة الأفعال وجنة النفس إلا من كان هوداً. وقالت النصارى: لن يدخل الجنة

المعهودة عندهم، أي: جنة الباطن وعالم الملكوت التي هي جنة الصفات، وجنة القلب إلا من كان نصرانياً. ولهذا قال عيسى عليه السلام في دعوتهم إلى جنتهم: « لن يلج ملكوت السموات من لم يولد مرّتين « ، وكانت دعوته إلى السماء، أي: السماء الروحانية { تلك أمانيهم } أي: غاية مطالبهم التي وقفوا على حدّها واحتجبوا بها عما فوقها { قل هاتوا برهانكم } أي: دليلكم الدال على نفي دخول غيركم جنّتكم { إن كنتم صادقين } في دعواكم، بل الدليل دلّ على نقيض مدعاكم. فإنّ { من أسلم وجهه } أي: ذاته الموجودة مع جميع لوازمها وعوارضها { لله } بالتوحيد الذاتيّ عند المحو الكليّ والفناء في ذات الله { وهو محسن } أي: مستقيم في أحواله بالبقاء بعد الفناء، مشاهد ربّه في أعماله، راجع من الشهود الذاتيّ إلى مقام الإحسان الصفاتيّ الذي هو المشاهدة بالوجود الحقانيّ لمكان الاستقامة والعبادة، لا بالوجود النفساني { فله أجره عند ربّه } أي: ما ذكرتم من الجنة وأصفى وألذّ لاختصاصها بمقام العندية أي المشاهدة التي احتجبتهم عنها { ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون } أي: وزيادة على ما لكم من الجنة وهو عدم خوفهم من احتجاب الذات وبقاء النفس اللازم لوجود بقيتهم وعدم حزنهم على ما فتهم بسبب الوقوف بحجاب جنّة الأفعال والصفات والتلذّذ بها والاستراحة فيها والاستدامة إليها من شهود جمال الذات. فإنهم وإن تركوها بالشوق إلى تجلّي الذات فإنها حاصلة لهم وأدنى مقامهم تحت جنة الذات.

{ وَقَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَداً سُبْحَـٰنَهُ بَل لَّهُ مَا فِي ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلأَرْضِ كُلٌّ لَّهُ قَانِتُونَ }

{ بَدِيعُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلأَرْضِ وَإِذَا قَضَىٰ أَمْراً فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ }

{ وقالوا اتخذ الله ولداً } أي: أوجد موجوداً مستقلاً بذاته مخصوصاً دونه { سبحانه } ننزّهه عن أن يكون غيره شيء فضلاً عما يجانسه { بل له ما في السموات والأرض } أي: له عالم الأرواح والأجساد وهي باطنه وظاهره، كما تقول: له الذات والوجه والصفات وأمثال ذلك. { كلّ له قانتون } موجودون بوجوده، فاعلون بفعله، معدومون بذواتهم، وهو غاية الطاعة والقيام بحقه إذ هو الوجود المطلق، فلا يوجد بدونه شيء. والوجودات المعينة صفاته وأسماؤه لامتيازها بتعيّناتها التي هي أمور إمكانية عدمية ليست عينه بالاعتبار العقليّ

يقسمها إلى الوجود والماهية التي هي بدون الوجود ليست شيئاً في الخارج، لكن في العقل. والعقليات باطنه، فهي في الحقيقة ليست غيره فلا يكون غيره موجوداً حتى يكون ولداً، أي: معلولاً أو مخلوقاً أو ما شئت فسمه.

{ بديع السموات والأرض } أي: مبدع سمواته وأرضه غير مسبوقة بمادّة ومدة، بل هي ظلال ذاته ومنشأ عالميته منورة باسمه النورانيّ، موجودة بوجوده الخارجيّ ولو لم يكن جهات الإمكان واعتبارات العقل بحسب اليقينيات لما اعتبرت وجوداتها أصلاً إذ هي بلا هو غير شيء فلا تكون معه موجودة بالمقارنة بل بالتحقيق بوجوده، ولا تكون غيره بالمفارقة بل بالاعتبار العقلي. فهي باعتبار تعيناتها خلق، وباعتبار حقيقتها حق. { وإذا قضى أمراً } أي حكم به { فإنما يقول له كن فيكون } أي: فلا يكون إلا تعلق إرادته به فيوجد بلا تخلل زمان ولا توسط شيء، بل معاً. وذلك التعلق هو قوله وإلا لم يكن ثمّ قول ولا صوت.

{ وَقَالَ ٱلَّذِينَ لاَ يَعْلَمُونَ لَوْلاَ يُكَلِّمُنَا ٱللَّهُ أَوْ تَأْتِينَآ آيَةٌ كَذَلِكَ قَالَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ مِّثْلَ قَوْلِهِمْ تَشَابَهَتْ قُلُوبُهُمْ قَدْ بَيَّنَّا ٱلآيَاتِ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ }

{ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِٱلْحَقِّ بَشِيراً وَنَذِيراً وَلاَ تُسْأَلُ عَنْ أَصْحَابِ ٱلْجَحِيمِ }

{ وَلَنْ تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلاَ ٱلنَّصَارَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ قُلْ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلْهُدَىٰ وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُمْ بَعْدَ ٱلَّذِي جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلاَ نَصِيرٍ }{ ٱلَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلاَوَتِهِ أُوْلَـٰئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَمن يَكْفُرْ بِهِ فَأُوْلَـٰئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ }

{ يَابَنِي إِسْرَائِيلَ ٱذْكُرُواْ نِعْمَتِيَ ٱلَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى ٱلْعَالَمِينَ }{ وَٱتَّقُواْ يَوْماً لاَّ تَجْزِي نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْئاً وَلاَ يُقْبَلُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلاَ تَنفَعُهَا شَفَاعَةٌ وَلاَ هُمْ يُنصَرُونَ }

{ وَإِذِ ٱبْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَاماً قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِي قَالَ لاَ يَنَالُ عَهْدِي ٱلظَّالِمِينَ }

{ وقال الذين لا يعلمون } علم التوحيد من المشركين { لولا يكلمنا الله أو تأتينا آية } إلى قوله: { تشابهت قلوبهم } في الجهل بعلم التوحيد وبكلام الله وآياته، إذ العلم بهما فرع علم التوحيد { قد بيّنا } دلائل التوحيد وكيفية المكالمة لأهل الإيقان { ولا تسئل عن أصحاب الجحيم } أي: ولا تؤخذ باحتجابهم وما عليك أن تنتقذهم من ظلمات حجبهم، إنما عليك أن تدعوهم بالبشارة والإنذار. { قل إنّ هدى الله هو الهدى } أي: طريق الوحدة المخصوصة بالحق هو الطريق لا غير. كما قال عليّ عليه السلام: « اليمين والشمال مضلّة، والطريق الوسطى هي الجادّة ». { ولئن اتبعت أهواءهم بعد الذي جاءك من العلم } أي: من علم التوحيد والمعرفة { ما لك من الله من وليّ ولا نصير } لامتناع وجود غيره.

{ وإذ ابتلى إبراهيم ربّه بكلماتٍ } أي: بمراتب الروحانيات، كالقلب والسرّ والروح والخفاء والوحدة والأحوال والمقامات، التي يعبر بها على تلك المراتب كالتسليم والتوكل والرضا وعلومها { فأتمهنّ } بالسلوك إلى الله وفي الله حتى الفناء { قال إني جاعلك للناس إماماً } بالبقاء بعد الفناء، والرجوع إلى الخلق من الحق تؤمّهم وتهديهم سلوك سبيلي ويقتدون بك فيهتدون. { قال ومن ذرّيتي } أي: واجعل بعض ذرّيتي أيضاً إماماً { قال } قد يكون منهم ظالمون

{ ولا ينال عهدي } إياهم، أي: لا يكونون خلفائي ولا أعهد إلى الظالمين بالإمامة.

{ وَإِذْ جَعَلْنَا ٱلْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْناً وَٱتَّخِذُواْ مِن مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى وَعَهِدْنَآ إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَٱلْعَاكِفِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ }

{ وإذ جعلنا البيت } القلب { مثابة } أي: مرجعاً ومبّواً { للناس وأمناً } ومحل أمن أو سبب أمن وسلامة لهم يأمنون بالوصول إليه والسكون فيه شرّ غوائل صفات النفس وفتك فتاك القوى الطبيعية وإفسادها، وتخييل شياطين الوهم والخيال، وإغوائهم ومكائدهم { واتخذوا من مقام إبراهيم } الذي هو مقام الروح ومقام الخلة { مصلى } موطناً للصلاة الحقيقية التي هي المشاهدة والمواصلة الإلهية والخلة الذوقية { وعهدنا إلى إبراهيم وإسماعيل } أمرناهما بتطهير بيت القلب من قاذورات أحاديث النفس، ونجاسات وساوس الشيطان، وأرجاس دواعي الهوى،

وأدناس صفات القوى { للطائفين } أي: للسالكين المشتاقين الذين يدورون حول القلب في سيرهم { والعاكفين } الواصلين إلى مقام القلب بالتوكل الذي هو توحيد الأفعال المقيمين فيه بلا تلوينات النفس وإزعاجها منه { والركع } أي: الخاضعين الذين بلغوا إلى مقام تجلي الصفات، وكمال مرتبة الرضا والسجود الفانين في الوحدة.

{ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَـٰذَا بَلَداً آمِناً وَٱرْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ ٱلثَّمَرَاتِ مَنْ آمَنَ مِنْهُمْ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلآخِرِ قَالَ وَمَن كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُ قَلِيلاً ثُمَّ أَضْطَرُّهُ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلنَّارِ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ }

{ وإذ قال إبراهيم ربّ اجعل هذا } الصدر الذي هو حرم القلب { بلداً آمناً } من استيلاء صفات النفس واغتيال العدوّ اللعين، وتخطف جنّ القوى البدنية أهله { وارزق أهله } من ثمرات معارف الروح أو حكمه وأنواره { من آمن منهم بالله واليوم الآخر } من وحد الله منهم وعلم المعاد { قال ومن كفر }

أي: ومن احتجب أيضاً من الذين سكنوا الصدر ولا يجاوزون حدّه بالترقي إلى مقام العين لاحتجابهم بالعلم الذي وعاؤه الصدر { فأمتعه } تمتيعاً { قليلاً } من المعاني العقلية، والمعلومات الكلية النازلة إليهم من عالم الروح على قدر ما تعيشوا به { ثم أضطرّه إلى عذاب } نار الحرمان والحجاب { وبئس المصير } مصيرهم، لتعذبهم بنقصانهم وتألمهم بحرمانهم.

{ وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِيمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ وَإِسْمَٰعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ }{ رَبَّنَا وَٱجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ }

{ رَبَّنَا وَٱبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْهُمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ آيَٰتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ }

{ وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلاَّ مَن سَفِهَ نَفْسَهُ وَلَقَدِ ٱصْطَفَيْنَاهُ فِي ٱلدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي ٱلآخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّالِحِينَ }{ إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِم ْ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ ٱلْعَالَمِينَ }{ وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ

يَابَنِيَّ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ فَلاَ تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنْتُم مُّسْلِمُونَ } * { أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ ٱلْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِن بَعْدِي قَالُواْ نَعْبُدُ إِلَـٰهَكَ وَإِلَـٰهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَـٰهاً وَاحِداً وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ }

{ وإذ يرفع إبراهيم القواعد من البيت } قيل: إنّ الكعبة أنزلت من السماء في زمان آدم ولها بابان إلى المشرق والمغرب، فحجّ آدم عليه السلام من أرض الهند واستقبله الملائكة أربعين فرسخاً فطاف بالبيت ودخله. ثم رفعت في زمان طوفان نوح عليه السلام، ثم أنزلت مرة أخرى في زمان إبراهيم صلوات الله عليه، فزارها ورفع قواعدها وجعل بابيها باباً واحداً. وقيل: ثم تمخض أبو قبيس فانشق عن الحجر الأسود وكان ياقوتة بيضاء من يواقيت الجنة نزل بها جبرائيل فخبئت فيه في زمان الطوفان إلى زمن إبراهيم عليه السلام، فوضعه إبراهيم مكانه، ثم اسودّ بملامسة النساء الحيض.

فنزولها في زمان آدم إشارة إلى ظهور القلب في زمانه بوجوده عليه. وكونه ذا بابين شرقيّ وغربيّ إشارة إلى ظهور علم المبدأ والمعاد، ومعرفة عالم النور، وعالم الظلمة في زمانه دون علم التوحيد. وقصده زيارتها من أرض الهند إشارة إلى توجهه بالتكوين والاعتدال من عالم الطبيعة الجسمانية المظلمة إلى مقام القلب، واستقبال الملائكة إشارة إلى تعلق القوى الحيوانية والنباتية بالبدن وظهور آثارها فيه قبل آثار القلب في الأربعين التي تكوّنت فيها بنيته وتخمرت طينته أو توجهه بالسير والسلوك من عالم النفس الظلماني إلى مقام القلب. واستقبال الملائكة تلقي القوى النفسانية والبدنية إياه بقبول الإذعان والأخلاق الجميلة والملكات الفاضلة والتمرّن فيها والتنقل في المقامات قبل وصوله إلى مقام القلب. وطوافه بالبيت إشارة إلى وصوله إلى مقام القلب وسلوكه فيه مع التلوين، ودخوله إشارة إلى تمكنه واستقامته فيه. ورفعه في زمان الطوفان إلى السماء إشارة إلى احتجاب الناس بغلبة الهوى وطوفان الجهل في زمان نوح عليه السلام عن مقام القلب. وبقاؤه في السماء الرابعة، أي: البيت المعمور الذي هو قلب العالم ونزوله مرة أخرى في زمان إبراهيم عليه السلام إشارة إلى اهتداء الناس في زمانه إلى مقام القلب بهدايته.

ورفع إبراهيم قواعده وجعله ذا باب واحد إشارة إلى تلقي القلب بسلوكه عليه السلام من مقامه إلى مقام الروح الذي هو السر وارتفاع مراتبه ووصوله إلى مقام التوحيد، إذ هو أوّل من ظهر عليه التوحيد الذاتيّ كما قال عليه السلام:

{ إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ ٱلسَّمَاوَاتِ وَٱلأَرْضَ حَنِيفاً وَمَآ أَنَاْ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ }

[الأنعام، الآية: ٧٩]. والحجر الأسود إشارة إلى الروح. وتمخض أبي قبيس وانشقاقه عنه إشارة إلى ظهوره بالرياضة وتحرّك آلات البدن باستعمالها بالتفكر والتبعد في طلب ظهوره، ولهذا قيل: خبئت فيه، يعني: احتجبت بالبدن. واسوداده بملامسة النساء الحيض إشارة إلى اختفائه وتكدّره بغلبة القوى النفسانية على القلب واستيلائها عليه وتسويدها الوجه النورانيّ الذي يلي الروح منه. وكذا إسماعيل أيضاً كان من الموحدين لعطفه عليه في رفع قواعد البيت.

{ تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُمْ مَّا كَسَبْتُمْ وَلاَ تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ }

{ تلك أمة قد خلت } أي: لا تكونوا مقلدين ولا تكتفوا بالتقليد الصرف في الدين إذ لا اعتماد على النقل، فليس لأحد إلا ما كسب من العلم والعمل والاعتقاد والسيرة، لا يجازى أحد بمعتقد غيره ولا بعمله، فكونوا على بصائركم واطلبوا اليقين واعملوا عليه.

{ وَقَالُواْ كُونُواْ هُوداً أَوْ نَصَارَىٰ تَهْتَدُواْ قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفاً ۖ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ }{ قُولُوٓاْ آمَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلأَسْبَاطِ وَمَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَا أُوتِيَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لاَ نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ }{ فَإِنْ آمَنُواْ بِمِثْلِ مَآ آمَنتُمْ بِهِ فَقَدِ ٱهْتَدَواْ وَّإِن تَوَلَّوْاْ فَإِنَّمَا هُمْ فِي شِقَاقٍ فَسَيَكْفِيكَهُمُ ٱللَّهُ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ } { صِبْغَةَ ٱللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ صِبْغَةً وَنَحْنُ لَهُ عَابِدونَ }

{ قُلْ أَتُحَآجُّونَنَا فِي اللَّهِ وَهُوَ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ وَلَنَآ أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُخْلِصُونَ }{ أَمْ تَقُولُونَ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالأَسْبَاطَ كَانُواْ هُوداً أَوْ نَصَارَىٰ قُلْ أَأَنْتُمْ أَعْلَمُ أَمِ ٱللَّه وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَتَمَ شَهَادَةً عِندَهُ مِنَ ٱللَّهِ وَمَا ٱللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ }
{ تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُمْ مَّا كَسَبْتُمْ وَلاَ تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُواْ يَعْمَلُونَ }
{ وقالوا كونوا هوداً أو نصارى } كلّ محجوب بدينه يزعم أنّ الحق دينه لا غير { قل بل ملّة إبراهيم } فإنّ الهدى المطلق هو التوحيد الذي يشمل كلّ دين، ويرفع كل حجاب كما ذكر بعده في قوله { قولوا آمنا بالله } إلى آخره { لا نفرّق بين أحد منهم } بنفي دين البعض وإبطال ملّته وإثبات الآخر وحقيته، بل نقول باجتماعهم على الحق واتفاقهم على التوحيد، ونقبل جميع أديانهم بالتوحيد الشامل لكلها { فإن آمنوا بمثل ما آمنتم به } من التوحيد الجامع من كل دين ومذهب { فقد اهتدوا } الاهتداء المطلق، أي: كل الاهتداء { وإن تولوا فإنما هم } في طرف من الدين وشقّ من الهداية يشاقونكم فيه.
{ صبغة الله } أي: آمنا بالله وصبغنا الله صبغة، فإن كل ذي اعتقاد ومذهب باطنه مصبوغ بصبغ اعتقاده ودينه ومذهبه. فالمتعبدون بالملل المتفرّقة مصبوغون بصبغ نيتهم، والمتمذهبون بصبغ إمامهم وقائدهم، والحكماء بصبغ عقولهم، وأهل الأهواء والبدع المتفرّقة بصبغ أهوائهم ونفوسهم، والموحدون بصبغة الله خاصة التي لا صبغ أحسن منها ولا صبغ بعدها. كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: « إن الله تعالى خلق الخلق في ظلمة ثم رشّ عليهم من نوره، فمن أصاب من ذلك النور اهتدى، ومن أخطأ ضلّ » ، فذلك النور هو صبغته.
{ سَيَقُولُ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَ ٱلنَّاسِ مَا وَلَّٰهُمْ عَن قِبْلَتِهِمُ ٱلَّتِي كَانُواْ عَلَيْهَا قُل لِّلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ يَهْدِي مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ }
{ سيقول السفَهَاء من الناس } سمّاهم سفهاء خفاف العقول، لعدم وفاء عقولهم بإدراك حقيقة دين الإسلام وقضائها على ما عرفت بحق مذهبها ووقوفها به، ولذلك كانت محاجتهم في الله مع اتفاقهم في التوحيد واختصاص المسلمين

بالإخلاص، إذ لو أدركوا الحق لأدركوا إخلاصهم فلم تبق محاجتهم معهم. ولو كانت عقولهم رزينة لاستدلت بالآيات وأدركت في كل دين ومذهب حقه، وفرّقت بين ذلك الدين الحق الذي هو كالروح لذلك، وبين باطل أهله الذي اختلط به ولبسه خاصة دين الإسلام، فإن كله حق، بل هو حق الحقوق ولذلك جعلوا أمّة وسطاً أي: عدلاً بين الأمم، فضلاء شهداء عليهم. { ما ولاّهُم عن قبلتهم التي كانوا عليها } لأنهم كانوا مقيدين بالجهة فلم يقبلوا إلا مقيداً ولم يعرفوا التوحيد الوافي بالجهات كلها { قل لله المَشرق والمَغرب } على ما مرّ من التأويلين { يهدي من يشاء إلى صراطٍ مستقيمٍ } أي: طريق الوحدة التي تتساوى الجهات بالنسبة إليها لكون الحق المتوجه إليه لا في جهة، وكون الجهات كلها فيه وبه وله، كما قال تعالى:

{ فَأَيْنَمَا تُوَلُّواْ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ } [البقرة، الآية: ١١٥].

{ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطاً لِّتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيداً وَمَا جَعَلْنَا ٱلْقِبْلَةَ ٱلَّتِي كُنتَ عَلَيْهَآ إِلاَّ لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ ٱلرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ وَإِن كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلاَّ عَلَى ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ }

ومعنى شهادتهم على الناس وشهادة الرسول عليهم، واطلاعهم بنور التوحيد على حقوق الأديان ومعرفتهم بحق أهل كل دين وحق، كل ذي دين من دينه وباطلهم الذي ليس حقهم الذي هو مخترعات نفوسهم وتمنياتهم وأكاذيب أخبارهم وملفقاتهم، ووقوفهم على حدّ دينهم، وإبطالهم لما عداه من الأديان، واحتجابهم وتقيدهم بظاهره دون التعمّق إلى باطنه وأصله وإلا عرفوا حقيّة دين الإسلام لأن طريق الحق واحد فلا يستخفون بحق سائر الأديان وخاصة دين الإسلام الذي هو الحق الأعظم الأظهر، والرسول مطلع على رتبة كل متدين بدينه في دينه، وحقيقته التي هو عليها من دينه، وحجابه الذي هو به محجوب عن كمال دينه، فهو يعرف ذنوبهم وحدود إيمانهم وأعمالهم وحسناتهم وسيئاتهم وإخلاصهم ونفاقهم وغير ذلك بنور الحق، وأمّته يعرفون ذلك من سائر الأمم بنوره.

{ وما جعلنا القبلة التي كنت عليها إلا لنعلم } بالعلم التفصيليّ التابع لوقوع المعلوم لا العلم السابق في عين جميع أوّل الوجود فإنه معلوم له بذلك العلم قبل وجوده، لأن العلم كله له لا علم لأحد غيره. فعلومنا التي نعلم بها الأشياء تظهر على مظاهرنا من علمه وذلك علمه التفصيليّ أي: علمه في تفاصيل الموجودات. فهو يعلم بذلك العلم التفصيلي الظاهر في مظاهرنا الأشياء بعد وجودها، كما يعلمها بالعلم الأول الذي هو في عين الجمع قبل وجودها.

{ من يتّبع الرسول } في توحيده { مِمن يَنقلب على عقبيهِ } لاحتجابه بالتقييد بالدين { وإنْ كانَت لكبيرة } أي: أنه كانت التحويلة لكبيرة لشاقة ثقيلة { إلا على الذين } هداهم الله إلى التوحيد ونجاهم عن الاحتجاب بالتقييد { وما كانَ الله ليضيعَ إيمانكم } أي: صلاتكم إلى بيت المقدس لكونها لله، وإذا كانت له فحيثما توجهتم قبلها. ولعمري إنها إنما شقت على طائفتين: المحجوبين بالحق عن الخلق، والمحجوبين بالخلق عن الحق. فإنّ الأولى عرفت أن التحويلة الأولى التي كانت من الكعبة إلى بيت المقدس هي صورة العروج من مقام القلب والسرّ، أي: المكاشفة والمكالمة إلى مقام الروح والخفاء، أي: المشاهدة والمعاينة فحسبوا التحويلة الثانية التي كانت صورة الرجوع إلى مقام القلب حالة الاستقامة والتمكين للدّعوة والنبوّة ومشاهدة الجمع في عين التفصيل، والتفصيل في عين الجمع، حيث لا احتجاب عن الخلق بالحق، ولا عن الحق بالخلق، هو النزول بعد العروج، والبعد بعد القرب. وظنوا ضياع السعي إلى المقام الأشرف وحصول الهجر بعد الوصول، والسقوط عن الرتبة، فشقّ عليهم ذلك. وأما الطائفة الثانية فتقيدوا بصورة نسكهم وعملهم وما عرفوا حكمة التحويلة، فظنوا صحة العبادة الثانية دون الأولى، فشقّ عليهم ضياعها وبطلانها الذي توهموه فهدينا إلى خلاف ما توهموه بما فهم من الآية.

{ إن الله بالناس لرؤوف } يرؤف بهم بشرح الصدر، ورفع الحجاب حال البقاء بعد الفناء للأولى، وبقبول ما عملت الثانية بصدقهم، وإن لم يعلموا ما يفعلون { رَحِيم } يرحمهم بالوجود الحقانيّ للأولى وثواب الأعمال والهداية إلى الحقيقة للثانية، وتوفيقهم للترقي من حالهم ومقامهم إلى مقام اليقين.

{ قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي ٱلسَّمَآءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّواْ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَابَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ وَمَا ٱللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ }

{ قد نرى تقلب وجهك } في جهة سماء الروح في مقام الجمع عند الاستغراق في الوحدة والاحتجاب بالحق عن الخلق يؤدك وزر النبوّة ومقام الدعوة، لعدم التفاتك إلى الكثرة، ويعسر عليك الرجوع إلى الحق في أوّل حال البقاء بعد الفناء قبل التمكن لقوة توجهك إلى الحق { فلنولينك قِبلةً ترضاها } فلنجعلنّ وجهك يلي قبلة القلب بانشراح الصدر، كما قال تعالى:

{ أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ ٱلَّذِي أَنقَضَ ظَهْرَكَ }

[الشرح، الآيات: ١-٣] فإنها قبلة ترضاها لوجود الجمع هناك في صورة التفصيل وعدم احتجاب الوحدة بالكثرة، فترضى تلك القبلة بدعوة الخلق إلى الحق مع بقاء شهود الوحدة { فوَل وجهكَ شطرَ المسجِد الحرامِ } جانب الصدر المشروح المحرّم من وصول صفات النفس، ودواعي الهوى والشيطان

{ وحيثُ ما كنتم } أيها المؤمنون والمحققون، سواء كنتم في جهة مشرق الروح ومغرب النفس { فولوا وجوهكم } جانبه ليتيسر عليكم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في الأولى، أي: الجهة الشرقية. والترقي عن حالكم ومقامكم، والتوقي عن احتجابكم بدواعي الهوى والشيطان في الثانية.

{ وإنّ الذين أوتوا الكتاب } أي: التوراة والإنجيل وكتاب العقل الفرقاني، أي: العقل المستفاد { ليعلمون أنه الحق من ربّهم } لاهتدائهم بما في الكتاب من توحيد الأفعال، والصفات، والدلالة على التوحيد المحمديّ الذاتيّ إليه، أو بنور العقل المنوّر بالنور الشرعيّ لا المحجوب بالقياس الفكريّ.

{ وَلَئِنْ أَتَيْتَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَابَ بِكُلِّ آيَةٍ مَّا تَبِعُواْ قِبْلَتَكَ وَمَآ أَنتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتَهُمْ وَمَا بَعْضُهُم بِتَابِعٍ قِبْلَةَ بَعْضٍ وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُم مِّن بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ إِنَّكَ إِذاً لَّمِنَ ٱلظَّالِمِينَ }

{ ولئنْ أتيتَ الذين أُوتُوا الكتاب بكل آيةٍ } دالة على صحة نبوّتك وحقية

قبلتك ولو من كتابهم، أو ما كانت عقلية قطعية { ما تبعوا قِبلتكَ } لاحتجابهم بدينهم ومعقولهم وتقيدهم به { وما أنت بِتَابع قبلتهم } لعلوك عن رتبة دينهم وترقيك عن مقامهم { وما بعضهم بتابع قبلةَ بعضٍ } لاحتجاب كلّ بدينه وتضادّ وجههم الناشئ من التضادّ المركوز في طباعهم { ولئِن اتّبعت أهواءهم } المتفرّقة { من بعد ما جاءك من } علم التوحيد الجامع إيّاك { إنك إذاً لمن } الناقصين حقك وحقّ مقامك.

{ ٱلَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ ٱلْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ وَإِنَّ فَرِيقاً مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ ٱلْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ }

{ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلاَ تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُمْتَرِينَ }

{ وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا فَٱسْتَبِقُواْ ٱلْخَيْرَاتِ أَيْنَ مَا تَكُونُواْ يَأْتِ بِكُمُ ٱللَّهُ جَمِيعاً إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ }

{ الذين آتيناهم الكتاب } إيتاء فهم ودراية { يعرفونه كما يعرفون أبناءهم } أي: كالمحسوس المشاهد، القريب الدائم الإحساس لقربهم منه بالحقيقة، وتوسمهم إيّاه بالدلائل الواضحة { ولكلّ وجهة هو مُوَليها } أي: ولكلّ أحد منكم غاية وكمال بحسب استعداده الأول، الله موجه وجهه إليها أو هو نفسه موجه نفسه إليها ويتوجه نحوها بمقتضى هويته واستعداده بإذن الله { فاستبقوا الخيرات } الأمور المقرّبة إياكم من كمالكم وغايتكم التي خلقتم لأجلها وندبتم إليها { أينما تكونوا } من مقام وحال دونها أو تخالفها لكونها في مقابلها { يأت بكم الله جميعاً } إلى تلك الغاية قريباً أو بعيداً بحسب اقتضاء المقرّبات واستباقها { إنّ الله على كل شيء قدير }.

{ وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَإِنَّهُ لَلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ وَمَا ٱللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ }

{ وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّواْ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ لِئَلاَّ يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ إِلاَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنْهُمْ فَلاَ تَخْشَوْهُمْ وَٱخْشَوْنِي وَلأُتِمَّ نِعْمَتِي عَلَيْكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ }

{ ومن حيث خرجت } من طرق حواسك وميلك إلى حظوظك والاهتمام بمصالحك ومصالح المؤمنين { فول وجهك شطر المسجد الحرام } أي: فكن حاضراً للحق في قلبك، مواجهاً صدرك، تشاهد مشاهد فيه، مراعياً جانبه لتكون في الأشياء بالله لا بالنفس { وحيث ما كنتم } أيها المؤمنون { فوَلوا وجوهكم } جانب الصدر، تشاهدون مشاهدكم فيه، مراعين له غير معرضين عنه في حال { لئلا يكون للناس عليكم حجةٌ } سلطنة بوقوعهم في أعينكم واعتباركم إياهم عند غيبتكم عن الحق، وترفّعهم عليكم، أو غلبة بالقول أو الفعل في مقاصدكم ومطالبكم لكونكم بالحق فيها حينئذ، بل يخضعون وينقادون لكم، فإنّ حزب الله هم الغالبون { إلا الذين ظلموا منهم } أي: الكفار المردودين الذين احتجبوا عن الحقّ مطلقاً، فإنهم يرتفعون عليكم ولا يخضعون، ولا ينقادون لعدم انفعالهم عن الحق مطلقاً. وسمّى شبهتهم التي يسوقونها مساق الحجة، واعتراضهم على المسلمين قولاً وفعلاً، وترفهم عليهم في أنفسهم حجة مجازاً. وقرئ إلا للتنبيه واستوؤنف الذين ظلموا { فلا تخشوهم } لأنهم لا يغلبونكم ولا يضرّونكم { واخشوني } كونوا على هيبة من تجلي عظمتي لئلا يقعوا في قلوبكم وأعينكم ولا يميلوا صدوركم فتميلوا إلى موافقتهم إجلالاً لهم وتعظيماً لكونكم في الغيبة وبالنفس، كما قال أمير المؤمنين عليه السلام: « عظم الخالق عندك يصغر المخلوق في عينك «. ولإتمامي نعمة الكمال عليكم ولإرادتي اهتداءكم أمرتكم بدوام الحضور والمراقبة.

{ كَمَآ أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولاً مِّنْكُمْ يَتْلُواْ عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱلْكِتَابَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُواْ تَعْلَمُونَ }

{ فَٱذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَٱشْكُرُواْ لِي وَلاَ تَكْفُرُونِ }

{ يَآأَيُّهَا ٱلَّذِينَ آمَنُواْ ٱسْتَعِينُواْ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلٰوةِ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّابِرِينَ }

{ وَلاَ تَقُولُواْ لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَاتٌ بَلْ أَحْيَاءٌ وَلَكِن لاَّ تَشْعُرُونَ }

{ كما أرسلنا } أي: كما ذكرتم بإرسال رسول { فيكم } من جنسكم ليمكنكم التلقيّ والتعلم، وقبول الهداية منه لجنسية النفس ورابطة البشرية { فاذكروني } بالإجابة والطاعة والإرادة { أذكركم } بالمزيد والتوالي للسلوك وإفاضة نور اليقين { واشكروا لي } على نعمة الإرسال والهداية بسلوك صراطي على قدم المحبة

أزدكم عرفاني ومحبتي { ولا تكفرون } بالفترة والاحتجاب بنعمة الدين عن المنعم، فإنه كفران بل كفر { يا أيها الذين آمنوا } الإيمان العيانيّ { استعينوا بالصبر } معي عند سطوات تجليّات عظمتي وكبريائي { والصلاة } أي: الشهود الحقيقي بي { إنّ الله مع الصابرين } المطيقين لتجليات أنواره.

{ ولا تقولوا لمن يقتل في سبيل الله } أي: يجعل فانياً مقتولة نفسه في سلوك سبيل التوحيد ميتاً عن هواه، كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: « موتوا قبل أن تموتوا « هم { أموات } أي: عجزة مساكين { بل } هم { أحياء } عند ربهم بالحياة الحقيقية، وحياة الله الدائمة السرمدية، شهداء الله بالحضور الذاتيّ، قادرون به { ولكن لا تشعرون } لعمى بصيرتكم وحرمانكم عن النور الذي تبصر به القلوب أعيان عالم القدّوس وحقائق الأرواح.

{ وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ وَٱلْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلأَمَوَالِ وَٱلأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ ٱلصَّابِرِينَ }

{ ولنبلونكم بشيء من الخوف } أي: خوفي الموجب لانكسار النفس وانهزامها { والجوع } الموجب لنهك البدن، وضعف قواه، ورفع حجاب الهوى، وسدّ طريق الشيطان إلى القلب { ونقص من الأموال } التي هي موادّ الشهوات المقوّية للنفس الزائدة في طغيانها { والأنفس } المستولية على القلب بصفاتها، والمستغنية بذاتها، ليزيد بنقصها القلب ويقوى، أو أنفس الأقرباء والأصدقاء الذين تأوون إليهم وتستظهرون بهم لتنقطعوا إليّ وتبتلوا { والثمرات } أي: الملاذ والمتمتعات النفسانية لتلتذوا بالمكاشفات والمعارف القلبية، والمشاهدات الروحية عند صفاء بواطنكم بالانقطاع منها وخلوص بصائر قلوبكم بنار الرياضة والبلاء والعزلة من غشّ صفات نفوسكم.

{ وبشر الصابرين } يعني: الصابرين عن مألوفاتهم بلذّة محبتي وقوّة إرادتي.

{ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوٓاْ إِنَّا للَّهِ وَإِنَّـآ إِلَيْهِ رَاجِعُونَ }

{ أُولَـٰئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَـٰئِكَ هُمُ ٱلْمُهْتَدُونَ }

{ إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِ فَمَنْ حَجَّ ٱلْبَيْتَ أَوِ ٱعْتَمَرَ فَلاَ جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَا وَمَن تَطَوَّعَ خَيْراً فَإِنَّ ٱللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ }

{ الذين إذا أصابتهم مصيبة } من تصرّفاتي فيهم دائماً شاهدوا آثار قدرتي، بل أنوار تجليات صفتي و { قالوا إنّا لله } أي: سلموا وأيقنوا أنهم ملكي، أتصرّف فيه { وإنّا إليه راجعون } أي: تفانوا فيّ، وشاهدوا تهلكهم فيّ بي { أولئك عليهم صلوت من ربّهم } بالوجود الموهوب لهم بعد الفناء الموصوف بصفاتي المنوّر بأنواري { ورحمة } ونور وهداية يهدون بها الخلق إليّ { وأولئك هم المهتدون } بهداي كما ورد في الدعاء: « واجعلنا هادين مهديين غير ضالين ولا مضلين «.

{ إنّ الصفا والمروة } أي: إنّ صفاء وجود القلب ومروة وجود النفس { من شعائر الله } من أعلام دينه ومناسكه القلبية كاليقين، والرضا، والإخلاص، والتوكل، والقالبية، كالصلاة والصيام وسائر العبادات البدنية { فمن حجّ البيت } أي: بلغ مقام الوحدة الذاتية ودخل الحضرة الإلهية بالفناء الذاتيّ الكليّ { أو اعْتَمر } نار الحضرة بتوحيد الصفات والفناء في أنوار تجليات الجمال والجلال { فلا جناح عليه } حينئذ في { أن يطوّف بهما }

أي: يرجع إلى مقامهما، ويتردّد بينهما، لا بوجودهما التكويني، فإنه جناح وذنب، بل بالوجود الموهوب بعد الفناء عند التمكين ولهذا نفي الحرج، فإنّ في هذا الوجود سعة بخلاف الأوّل { ومن تطوّع خيراً } أي: ومن تبرّع خيراً من باب التعاليم وشفقة الخلق والنصيحة ومحبة أهل الخير والصلاح بوجود القلب، ومن باب الأخلاق، وطرق البر والتقوى، ومعاونة الضعفاء والمساكين، وتحصيل الرفق لهم ولعياله بوجود النفس بعد كمال السلوك والبقاء بعد الفناء { فإن الله شاكر } يشكر عمله بثواب المزيد { عليم } بأنه من باب التصرّف في الأشياء بالله لا من باب التكوين والابتلاء والفترة.

{ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلْنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَاتِ وَٱلْهُدَىٰ مِن بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي ٱلْكِتَابِ أُولَـٰئِكَ يَلعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ ٱللَّاعِنُونَ }
{ إِلاَّ ٱلَّذِينَ تَابُواْ وَأَصْلَحُواْ وَبَيَّنُواْ فَأُوْلَـٰئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَأَنَا التَّوَّابُ الرَّحِيمُ }

{ إن الذين يكتمون ما أنزلنا من البيّنات والهدى } أي: يكتمون ما أفضنا عليهم من بينات أنوار المعارف وعلوم تجليات الأفعال والصفات، وهدى الأحوال

والمقامات أو الهداية إلى التوحيد الذاتيّ بطريق علم اليقين، فإنّ العيانيّ لا ينكتم بالتلوينات النفسية أو القلبية الحاجبة للمكاشفات القلبية والمسامرات السريّة والمشاهدات الروحية { من بعد ما بيّناه للناس } في كتاب عقولهم المنوّرة بنور المتابعة المدركة لآثار أنوار القلوب والأرواح ببركة الصحبة { أولئك يلعنهم الله } يردّهم ويطردهم { ويلعنهم اللاعنون } من الملأ الأعلى لخذلانهم وترك إمدادهم من عالم الأبد والنور، ومن المستعدّين المشتاقين الذين كانوا قد استأنسوا بنور قلوبهم واستفاضوا منهم النور بقوّة صدقهم، واستراحوا إلى صحبتهم وملازمتهم يتبرّكون بهم وبأنفاسهم عند استشراق لمعان أحوالهم بالهجران والانقطاع عن صحبتهم والصدّ والإعراض عنهم لفقدانهم ذلك واستشعارهم بتكدّر صفائهم { إلا الذين تَابُوا } أي: رجعوا عن ذنوب أحوالهم وعلموا أن ذلك كان ابتلاء من الله { وأَصْلَحوا } أحوالهم بالإنابة والرياضة { وبيّنُوا } أي: كشفوا وأظهروا بصدق المعاملة مع الله والإخلاص ما احتجب عنهم { فأولئِك } أتقبل توبتهم وألقي التوبة عليهم { وأنا التوّاب الرحيم }.

{ إِن الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ ٱللَّهِ وَٱلْمَلاۤئِكَةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ }

{ إنّ الذين كَفَرُوا } حجبوا عن الدين أو الحق { وماتُوا وهم كفّار }

أي: بقوا على احتجابهم حتى زال استعدادهم وانطفأ نور فطرتهم بدين الحجاب، وانقطعوا عن الأسباب التي يمكن بها رفع حجاب الموت

{ أولئك عليهم لعنَة الله والملائكة والناس أجْمَعِين }

أي: استحقوا البعد والحرمان والطرد الكليّ عن الحق وعن عالم الملكوت وعن الفطرة الإنسانية المعبر عنه بالطمس.

{ خَالِدِينَ فِيهَا لاَ يُخَفَّفُ عَنْهُمُ ٱلْعَذَابُ وَلاَ هُمْ يُنْظَرُونَ }

{ وَإِلَـٰهُكُمْ إِلَـٰهٌ وَاحِدٌ لاَّ إِلَـٰهَ إِلاَّ هُوَ ٱلرَّحْمَـٰنُ ٱلرَّحِيمُ }

{ إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلأَرْضِ وَٱخْتِلاَفِ ٱللَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱلْفُلْكِ ٱلَّتِي تَجْرِي فِي ٱلْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ

وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن مَّآءٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَاحِ وَٱلسَّحَابِ ٱلْمُسَخَّرِ بَيْنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلأَرْضِ لآيَـاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ }

{ خالِدِيـنَ فيهـا } لطمـوس اسـتعدادهم وانطفـاء نـور فطرتهـم { لا يُخَفـف عنهـم العَـذَاب } لرسـوخ هيئاتهـم المعذّبـة في جواهـر نفوسـهم { ولا هـم ينظـرون } للـزوم تلـك الهيئـات المظلمـة إياهـم { وإلهكـم إلـه واحِـد } ومعبودكـم الـذي خصصتمـوه بالعبـادة أيهـا الموحـدون معبـود واحـد بالـذات، واحـد مطلـق لا شيء في الوجـود غـيره، ولا موجـود سـواه فيعبـد، فكيـف يمكنكـم الـشرك بـه وغـيره العـدم البحـت فـلا شرك إلا للجهـل بـه. { الرحمـن } الشـامل الرحمـة لـكلّ موجـود { الرحيـم } الـذي يخـصّ رحمـة هدايتـه بالمؤمنـين الموحديـن وهـي أوّل آيـة نزلـت في التوحيـد بحسـب الرتبـة، أي: أقـدم توحيـد مـن جهـة الحـق لا مـن جهتنـا.

فـإنّ أول التوحيـد مـن طرفنـا توحيـد الأفعـال وهـذا هـو توحيـد الـذات ولمـا بعـد هـذا التوحيـد عـن مبالـغ أفهـام النـاس تنـزل إلى مقـام توحيـد الأفعـال ليسـتدلّ بـه عليـه فقـال:{ إنّ في خلـق السـمواتِ والأرضِ } إلى آخـره، أي: أنّ في إيجـاد سـموات الأرواح والقلـوب والعقـول وأرض النفـوس { واخْتِـلاف } النـور والظلمـة بينهـما وفلـك البـدن التـي تجـري في بحـر الجسـم المطلـق { بِمـا يَنْفـع النـاس } في كسـب كمالاتهـم { ومـا أَنْـزَل اللـه مـن السـماء } أي: الـروح مـن مـاء العلـم { فأحيـا بـه } أرض النفـس بعـد موتهـا بالجهـل { وبـثّ فيهـا مـن كل دابَـة } القـوى الحيوانيـة الحيـة بحيـاة القلـب { وتَصْريـف } عصـوف زيـادة الأفعـال الحقانيـة، وسـحاب تجـلي الصفـات الربانيـة المسـخر المهيـأ بـين سـماء الـروح وأرض النفـس { لآيـات } لدلائـل { لِقَـوم يَعْقلـون } بالعقـل المنـوّر بنـور الـشرع، المجـرّد عـن شـوب الوهـم.

{ وَمِـنَ ٱلنَّـاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّـهِ أَندَاداً يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ آمَنُواْ أَشَـدُّ حُبّاً للَّهِ وَلَوْ يَرَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا إِذْ يَرَوْنَ ٱلْعَذَابَ أَنَّ ٱلْقُوَّةَ للَّهِ جَمِيعاً وَأَنَّ ٱللَّهَ شَـدِيدُ ٱلْعَذَابِ }

{ ومـن النـاس مـن يَتَخـذ مـن دون اللـه أنـداداً يحبونهـم كحـبّ اللـه } أي: مـن يعبـد مـن دون اللـه أشـياء إمّـا أنـاسيّ مـن جنسـهم كالأزواج، والأولاد، والآبـاء، والأحـداد،

والإخوان، والأحباب، والرؤساء، والملوك، وغيرهم. وإمّا غير أناسيّ كالحيوانات، والجمادات، وسائر أموالهم، بالإقبال عليهم والتوجه نحوهم، ومراعاتهم، وحفظهم، والاهتمام بهم وبحالهم، والتفكّر في بابهم، يحبونهم كحب الله، أي: كما يجب أن يحب الله، فتكون تلك الأشياء عندهم مساوية في المحبة مع الله فتكون أنداداً أو شركاء لله بالنسبة إليهم، أو تكون هي محبوباتهم ومعبوداتهم لا غير، فهي آلهتهم كما أن الله إله الخلق فهم جعلوا لأنفسهم آلهة أنداداً لإله سائر الخلق، إله العالمين { والذين آمَنُوا أشدّ حباً لله } من غيره لأنهم لا يحبون إلا الله، لا يختلط حبهم له بحب غيره ولا يتغير، ويحبون الأشياء بمحبة الله ولله، وبقدر ما يجدون فيها من الجهة الإلهية كما قال بعضهم: « الحق حبيبنا، والخلق حبيبنا وإذا اختلفا فالحق أحبّ إلينا « أي: إذا لم تبق جهة الإلهية فيهم بمخالفتهم إياه لم تبق محبتنا لهم، أو أشدّ حباً من محبتهم لآلهتهم لأنهم يحبون الأشياء بأنفسهم لأنفسهم، فلا جرم تتغير محبتهم بتغيير إعراض النفوس أنفسهم عند خوف الهلاك ومضرّة النفس عليهم والمؤمنون يحبون الله بأرواحهم وقلوبهم، بل بالله لله، لا تتغير محبتهم لكونها لا لغرض، ويبذلون أرواحهم وأنفسهم لوجهه ورضاه، ويتركون جميع مراداتهم لمراده ويحبون أفعاله وإن كانت بخلاف هواهم، كما قال أحدهم:

أريد وصاله ويريد هجري فأترك ما أريد لما يريد

{ ولو يرى الذينَ ظَلَموا } أي: أشركوا بمحبة الإنذار في وقت رؤيتهم عذاب الاحتجاب بآلهتهم { أن القوّة لله } أي: القدرة كلها لله ليس لآلهتهم شيء منها، وشدّة عذاب الله بقرنهم بآلهتهم في نار الحرمان بالسلاسل النارية المستفاد من محبتهم إياها، لكان ما لا يدخل تحت الوصف ولهذا المعنى حذف جواب لو.

{ إِذْ تَبَرَّأَ ٱلَّذِينَ ٱتُّبِعُواْ مِنَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُواْ وَرَأَوُاْ ٱلْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ ٱلأَسْبَابُ }{ وَقَالَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُواْ لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّءُواْ مِنَّا كَذَلِكَ يُرِيهِمُ ٱللَّهُ أَعْمَالَهُمْ حَسَرَاتٍ عَلَيْهِمْ وَمَا هُم بِخَارِجِينَ مِنَ ٱلنَّارِ }{ يٰأَيُّهَا ٱلنَّاسُ كُلُواْ مِمَّا فِي ٱلأَرْضِ حَلاَلاً طَيِّباً وَلاَ تَتَّبِعُواْ خُطُوَاتِ ٱلشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ }

{ إذ تبرأ } بدل من: إذ يرون العذاب، أي: وقت رؤيتهم العذاب هو وقت

تـبرّئ المتبوعـين مـن التابعـين مـع لـزوم كلّ منهـم الآخـر بمقتـضى المحبـة التـي كانـت بينهـم لتعـذب كلّ منهـم بالآخـر وتقيـده واحتجابـه بـه عـن كمالاتـه ولذاتـه وانقطـاع الأسـباب والوصـل الموجبـة للفوائـد والتمتعـات التـي كانـت بينهـم في الدنيـا مـن القرابـة، والرحـم، والإلفـة، والعهـد، وسـائر المواصـلات الدنيويـة الجالبـة للنفـع واللـذة، فإنهـا تنقطـع كلهـا بانقطـاع لوازمهـا وموجباتهـا دون المواصـلات الخيريـة والمحبّـات الإلهيـة المبنيـة عـلى المناسـبة الروحيـة والتعـارف الأزليّ، فإنهـا تبقـى ببقـاء الـروح أبـداً وتزيـد في الآخـرة بعـد رفـع الحجـب البدنيـة لاقتضائهـا محبـة اللـه المفيـدة في الآخـرة، كـما قـال تعـالى: « وجبـت محبتـي للمتحابـين فيّ « والـواو في { ورأوا العـذاب } واو الحـال، أي: تـبرّؤوا عنهـم في حـال رؤيتهـم العـذاب وتقطـع الوصـل بينهـم، يعنـي: حـال ظهـور شرّ المقارنـة وتبعتهـا، ونفـاد خيرهـا وفائدتهـا، كحـال سـفاح الـكلاب مثـلاً { وقـال الذيـن اتبعـوا لـو أنّ لنـا كـرّة } أي: ليـت لنـا كـرّة { كذلـك يُرِيهـم اللـه أعمالهـم حَسَـرات عليهـم } أي: تنقلـب محباتهـم ومـا يبنـى عليهـا مـن الأعـمال حسـرات عليهـم، وكـذا يكـون حـال القـوى الروحانيـة المصادقـة للقـوى النفسـانية التابعـة لهـا، المسـخّرة إياهـا في تحصيـل لذاتهـا.

{ يـا أيهـا النـاس كُلُـوا مـما في الأرض } أي: تناولـوا مـن اللـذّات والتمتعـات التـي في الجهـة السـفلية مـن عـالم النفـس والبـدن عـلى وجـه يحـلّ ويطيـب، أي: عـلى قانـون العدالـة بـإذن الـشرع واسـتصواب العقـل بقـدر الاحتيـاج والـضرورة، ولا تخطـوا حـدّ الاعتـدال الـذي بـه تطيـب وتنفـع إلى حـدود الإسراف، فإنهـا خطـوات الشـيطان.

ولهـذا قـال تعـالى: { إِنَّ ٱلْمُبَذِّرِيـنَ كَانُـوا إِخْـوَانَ ٱلشَّـيَاطِينِ } [الإسراء، الآيـة: ٢٧] فإنـه عـدوٌ لكـم. بـيّن العـداوة يريـد أن يهلككـم ويبغضكـم إلى ربكـم بارتـكاب الإسرافـات المذمومـة فإنـه لا يحـب المسرفـين. واعلـم أن العـداوة في عـالم النفـس هـي ظـلّ الإلفـة في عـالم القلـب، والاعتـدال ظلهـا في عـالم البـدن، والإلفة ظـلّ المحبـة في عـالم الـروح وهـي ظـلّ الوحـدة الحقيقيـة. فالاعتـدال هـو الظـلّ الرابـع للوحـدة والشـيطان يفـرّ مـن ظـلّ الحـق ولا يطيقـه فيخطـو أبـداً في مجـال تلـك الظـلال إلى جوانـب الإسرافـات وحيـث يعجـز فـإلى جوانـب التفريطـات كـما في المحبـة والإلفـة، ولهـذا قـال أمـير المؤمنـين عـليّ عليـه السـلام: « لا تـرى الجاهـل إلا مفرطاً أو مفرّطاً « ، فإن الجاهل سخرة الشيطان.

{ إِنَّمَا يَأْمُرُكُمْ بِٱلسُّوءِ وَٱلْفَحْشَآءِ وَأَن تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ مَا لاَ تَعْلَمُونَ }
{ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُوا مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُواْ بَلْ نَتَّبِعُ مَآ أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَآءَنَآ أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لاَ يَعْقِلُونَ شَيْئاً وَلاَ يَهْتَدُونَ }
{ وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ كَمَثَلِ ٱلَّذِي يَنْعِقُ بِمَا لاَ يَسْمَعُ إِلاَّ دُعَآءً وَنِدَآءً صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لاَ يَعْقِلُونَ } { يٰأَيُّهَا ٱلَّذِينَ آمَنُواْ كُلُواْ مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَٱشْكُرُواْ للَّهِ إِن كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ }

{ إنما يأمُركم بالسوء } الإضرار والأذى الذي هو إفراط القوة الغضبية { والفَحْشاء } أي: القبائح التي هي إفراط القوّة الشهوانية { وأن تقولوا على الله ما لا تعلمون } الذي هو إفراط القوّة النطقية لشوب العقل بالوهم الذي هو الشيطان المسخر له { وإذا قيل لهم اتبِعوا ما أَنْزَل الله } من مراعاة حدّ الاعتدال والعدالة في كلّ شيء على الوجه المأمور به في الشرع { قالوا بل نتّبع ما وَجَدْنا عليه آباءنا } من الإسرافات المذمومة في الجاهلية تقليداً لهم أتتبعونهم { ولو كان آباؤهم لا يَعْقلون شيئاً } من الدين والعِلم { ولا يَهْتَدون } إلى الصواب في العمل لجهلهم.

{ ومثل الذين كَفَروا } أي: مثل داعي الكفار المردودين { كمثل } الناعق بالبهائم فإنها لا تسمع إلا صوتاً ولا تفهم ما معناه فكذا حالهم { يا أيها الذين آمنوا } إن كنتم موحدين تخصون العبادة بالله فلا تتناولوا إلا من طيبات ما رزقناكم، أي: ما ينبغي في العدالة أن يستعمل من المرزوقات { واشكروا لله } باستعمالها فيما يجب أن تستعمل على الوجه الذي ينبغي أن تستعمل بالقدر الذي ينبغي، فإنّ التوحيد يقتضي مراعاة الاعتدال والعدالة في كل شيء اقتضاء الذات ظلها ولازمها « عن النبي صلى الله عليه وسلم عن الله تعالى: « إني والجنّ والإنس في نبأ عظيم، أخلق ويعبد غيري، وأرزق ويُشكر غيري « «.

{ إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةَ وَٱلدَّمَ وَلَحْمَ ٱلْخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ بِهِ لِغَيْرِ ٱللَّهِ فَمَنِ ٱضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلاَ عَادٍ فَلا إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ }
{ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْكِتَابِ وَيَشْتَرُونَ بِهِ ثَمَناً قَلِيلاً أُولَـٰئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ إِلاَّ ٱلنَّارَ وَلاَ يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ يَوْمَ ٱلْقِيَامَةِ

وَلاَ يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ }{ أُولَـئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشْتَرَوُاْ ٱلضَّلاَلَةَ بِٱلْهُدَىٰ وَٱلْعَذَابَ بِٱلْمَغْفِرَةِ فَمَآ أَصْبَرَهُمْ عَلَى ٱلنَّارِ } { ذَلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ نَزَّلَ ٱلْكِتَابَ بِٱلْحَقِّ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُواْ فِي ٱلْكِتَابِ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ }
{ لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّواْ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَـٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلآخِرِ وَٱلْمَلاۤئِكَةِ وَٱلْكِتَابِ وَٱلنَّبِيِّينَ وَآتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِ ذَوِي ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَامَىٰ وَٱلْمَسَاكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّآئِلِينَ وَفِي ٱلرِّقَابِ وَأَقَامَ ٱلصَّلٰوةَ وَآتَى ٱلزَّكَاةَ وَٱلْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُواْ وَٱلصَّابِرِينَ فِي ٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلْبَأْسِ أُولَـئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَأُولَـئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ }

{ إنما حرّم عَلَيكم المِيتة } لجمود الدم فيها، وبعدها عن الاعتدال بانحراف المزاج { والدم } لاختلاطه بالفضلات النجسة البعيدة عن قبول الحياة والعدالة والنورية وعدم صلاحيته لذلك بعد لقصور النضج { ولحْم الخِنْزير } لغلبة السبعية والشره ومباشرة القاذورات والدياثة على طبعه فيولد في أكله مثل ذلك { وما أُهِلّ به لِغَير الله } أي: رفع الصوت بذبحه لغير الله يعني ما قصد بذبحه وأكله الشرك لمنافاته التوحيد سفيراً عن الشرك. ويفهم منه ما يقوي آكله به على الكلام ورفع الصوت لغير الله أي: كل ما يؤكل لا على التوحيد فهو محرّم على آكله { فمنِ اضطرّ } أي: من الجماعة { غير بَاغٍ } على مضطرّ آخر باستئثاره { ولا عَادٍ } سدّ الرمق { فلا إثمَ عليه }.

{ ما يَأْكُلون في بُطُونهم } أي: ملء بطونهم إلا ما هو وقود نار الحرمان وسبب اشتعال نيران الطبيعة الحاجبة عن نور الحق المعذبة بهيئات السوء المظلمة الموقعة صاحبها في جحيم الهيولى الجسمانية { ولا يكلمهم الله ولا ينظر إليهم } عبارة عن شدّة غضبه عليهم وبعدهم عنه.

{ ليس البرّ أن تولوا وجوهكم } مشرق عالم الأرواح ومغرب عالم الأجساد، فإنه تقيد واحتجاب { ولكن البرّ } برّ الموحدين الذين آمنوا بالله والمعاد في مقام الجمع، إذ التوحيد في مقام الجمع يلزمه البقاء الأبديّ الذي هو المعاد الحقيقي. وشاهدوا الجمع في تفاصيل الكثرة ولم يحتجبوا بالجمع عن التفصيل الذي هو

باطن عالم الملائكة وظاهر عالم النبيين. { والكِتَاب } الذي جمع بين الظاهر بالأحكام والمعارف، وأفاد علم الاستقامة ثم استقاموا بعد تمام التوحيد جمعاً وتفصيلاً بالأعمال المذكورة، فإن الاستقامة عبارة عن وقوف جميع القوى على حدودها بالأمر الإلهي لتنوّرها بنور الروح عند تحقق صاحبها بالله في مقام البقاء بعد الفناء وذلك مقام العدالة، فتكون هي في ظلّ الحق منخرطة في سلك الوحدة بكليتها. { على حبه } أي: في حال الاحتياج إليه والشحّ به، كما قال ابن مسعود: أن تؤتيه وأنت صحيح شحيح، تأمل العيش، وتخشى الفقر، ولا تمهل حتى إذا بلغت الحلقوم، قلت لفلان: كذا، ولفلان: كذا. قال الله تعالى: { وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ } [الحشر، الآية: ٩] أو على حب الله لئلا يشغل قلبه عنه ولأنه تعالى يرضى بإيتائه أو على حبّ الإيتاء، يعني: بطيب النفس، فإن الكريم هو الفرح وطيب النفس بالإعطاء. ومن قوله: { وآتى المال } إلى قوله: { وآتى الزكاة } من باب العفة التي هي كمال القوة الشهوانية ووقوفها على حدّها فيما يتعلق بها، وقوله: { والموفون بعَهْدهم إذا عَاهَدوا } من باب العدالة المستلزمة للحكمة التي هي كمال القوّة النطقية فإنها ما لم تعلم تبعة الغدر والخيانة وفائدة الفضيلة المقابلة لهما، لم تف بالعهد. وقوله: { والصابرين في البأساء } أي: الشدّة والفقر { والضرّاء } أي: المرض والزمانة { وحين البأس } أي: الحرب من باب الشجاعة التي هي كمال القوّة الغضبية { أولئك } الموصوفون بهذه الفضائل كلها، الثابتون في مقام الاستقامة { الذين صدقوا } الله في مواطن التجريد بأفعالهم التي هي البرّ كله { وأولئك هم المتقون } عن محبة غير الله حتى النفس، المجرّدون عن غواشي النشأة والطبيعة.

{ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ آمَنُواْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِصَاصُ فِي ٱلْقَتْلَى ٱلْحُرُّ بِالْحُرِّ وَٱلْعَبْدُ بِٱلْعَبْدِ وَٱلأُنثَىٰ بِٱلأُنثَىٰ فَمَنْ عُفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَٱتِّبَاعٌ بِٱلْمَعْرُوفِ وَأَدَآءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَانٍ ذٰلِكَ تَخْفِيفٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ بَعْدَ ذٰلِكَ فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ } { وَلَكُمْ فِي ٱلْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ يَٰٓأُولِي ٱلأَلْبَٰبِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ }

{ كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ إِن تَرَكَ خَيْراً ٱلْوَصِيَّةُ لِلْوَالِدَيْنِ وَٱلأَقْرَبِينَ بِٱلْمَعْرُوفِ حَقّاً عَلَى ٱلْمُتَّقِينَ } { فَمَن بَدَّلَهُ بَعْدَ مَا سَمِعَهُ فَإِنَّمَا إِثْمُهُ عَلَى ٱلَّذِينَ يُبَدِّلُونَهُ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ }
{ فَمَنْ خَافَ مِن مُّوصٍ جَنَفاً أَوْ إِثْماً فَأَصْلَحَ بَيْنَهُمْ فَلاَ إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ }{ يٰأَيُّهَا ٱلَّذِينَ آمَنُواْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ }
{ أَيَّاماً مَّعْدُودَاتٍ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضاً أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ وَعَلَى ٱلَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ فَمَن تَطَوَّعَ خَيْراً فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُ وَأَن تَصُومُواْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ }

القصاص قانون من قوانين العدالة، فُرِض لإزالة عدوان القوّة السبعية، وهو ظلّ من ظلال عدله تعالى فإنه إذا تصرّف في عبده بإفنائه فيه عوّضه عن حرّ روحه روحاً موهوماً خيراً منه، وعن عبد قلبه قلباً موهوباً، وعن أنثى نفسه نفساً موهوبة كاملة. { ولكم } في مقاصّة الله إياكم بما ذكر { حياة } عظيمة، أي: حياة لا يوصف كنهها { يا أولي الألباب } أي: العقول الخالصة عن قشر الأوهام وغواشي العينيات والأجرام. فكذا في هذا القصاص - لكي تتقوا تركه وتحافظوا عليه - الوصية والمحافظة عليها قانون آخر فُرِضَ لإزالة نقصان القوّة الملكية، أي: القوّة النطقية وقصورها عما يقتضي الحكمة من التصرّف في الأموال، والسلطنة على القوّتين الأخريين بنور الحق وحكم الشرع، ومنعها عن عدوانها أيضاً بتبديل الوصية الذي هو نوع من الجريمة والخيانة، وتحريضها على التحقيق والتدقيق في باب الحكمة التي هي كمالها بالإصلاح بين الموصى لهم على مقتضى الحكمة، إذا توقع وعلم من الموصي إضراراً بالسهو والعمد - الصيام قانون آخر مما فُرِضَ لإزالة عدوان القوّة البهيمية وتسلطها - واعلم أنّ قصاص أهل الحقيقة ما ذكر، ووصيتهم هي بالمحافظة على عهد الأزل بترك ما سوى الحق، كما قال تعالى:

{ وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ } [البقرة: ١٣٢].

وصيامهم هو الإمساك عن كلّ قول وفعل وحركة وسكون ليس بالحق للحق.

{ شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ ٱلْهُدَىٰ وَٱلْفُرْقَانِ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ وَمَن كَانَ مَرِيضاً أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلاَ يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُواْ ٱلْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُواْ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَاكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ }

{ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُواْ لِي وَلْيُؤْمِنُواْ بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ }

{ أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ ٱلصِّيَامِ ٱلرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَآئِكُمْ هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنْتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ عَلِمَ ٱللَّهُ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَخْتانُونَ أَنْفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنْكُمْ فَٱلآنَ بَٰشِرُوهُنَّ وَٱبْتَغُواْ مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمْ وَكُلُواْ وَٱشْرَبُواْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ ٱلْخَيْطُ ٱلأَبْيَضُ مِنَ ٱلْخَيْطِ ٱلأَسْوَدِ مِنَ ٱلْفَجْرِ ثُمَّ أَتِمُّواْ ٱلصِّيَامَ إِلَى ٱللَّيْلِ وَلاَ تُبَٰشِرُوهُنَّ وَأَنْتُمْ عَٰكِفُونَ فِي ٱلْمَسَٰجِدِ تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ فَلاَ تَقْرَبُوهَا كَذٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ ءَايَٰتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ }

{ شهر رمضان } أي: احتراق النفس بنور الحق { الذي أنزل فيه } في ذلك الوقت { القرآن } أي: العلم الجامع الإجمالي، المسمّى بالعقل القرآنيّ الموصل إلى مقام الجمع - هداية للناس إلى الوحدة باعتبار الجمع { وبينات من الهُدى } ودلائل متصلة من الجمع والفرق، أي: العلم التفصيلي المسمّى بالعقل الفرقاني - فمن حضر منكم في ذلك الوقت، أي: بلغ مقام شهود الذات { فليصمه }

أي: فليمسك عن قول وفعل وحركة ليس بالحق فيه { ومن كان مريضاً }

أي: مبتلى بأمراض قلبه من الحجب النفسانية المانعة من ذلك الشهود

{ أو على سفر } أي: في سلوك بعد ولم يصل إلى الشهود الذاتيّ، فعليه مراتب أُخر يقطعها حتى يصل إلى ذلك المقام { يريد الله بكم اليسر } بالوصول إلى مقام التوحيد والامتداد بقدرة الله { ولا يريد بكم العسر }

أي: تكلف الأفعال بالنفس الضعيفة العاجزة { ولتكملوا العدّة } ولتتمموا تلك المراتب والأحوال والمقامات الموصلة. ولتعظموا الله وتعرفوا عظمته وكبرياءه

على هدايته إياكم إلى مقام الجمع { ولعلكم تشكرون } بالاستقامة أمركم بذلك.
{ وإذا سألك عبادي } السالكون الطالبون المتوجهون إليّ، عن معرفتي { فإني قريب } ظاهر { أجيب دعوة } من يدعوني بلسان الحال والاستعداد بإعطائه ما اقتضى حاله واستعداده { فليستجيبوا لي } بتصفية الاستعداد بالزهد والعبادة، فإني أدعوهم إلى نفسي وأعلمهم كيفية السلوك إليّ، وليشاهدوني عند التصفية، فإني أتجلّى عليهم في مرائي قلوبهم لكي يرشدوا بالاستقامة، أي: لكي يستقيموا ويصلحوا.
{ أحلّ لكم } أي: أبيح لكم { ليلة الصيام } أي: في وقت الغفلة الذي يتخلل ذلك الإمساك المذكور في زمان حضوركم { الرفث إلى نِسَائكم } التنزّل إلى مقارفة نفوسكم بحظوظها إذ لا مصابرة لكم عنها لكونها تلابسكم وكونكم تلابسونها بالتعلق الضروري { علم الله أنكم كنتم تختانون أنفسكم } باستراق الحظوظ في أزمنة تلك السلوك والرياضة والحضور { فتاب عليكم وعفا عنكم }
{ فالآن } أي: في وقت الاستقامة والتمكين حال البقاء بعد الفناء { باشروهنّ } في أوقات الغفلات { وابتغوا ما كتب الله لكم } من التقوى والتمكن بتلك الحظوظ على توفير حقوق الاستقامة والقيام بما أمر الله به من العبودية والدعوة إليه { وكلوا واشربوا } أي: كونوا مع رفقها { حتى يتبين لكم الخيط الأبيض من الخيط الأسود من الفجر } حتى تظهر عليكم بوادي الحضور ولوامعه وتغلب آثاره وأنواره على سواد الغفلة وظلمتها، ثم كونوا على الإمساك المذكور بالحضور مع الحق حتى يأتي زمان الغفلة، لولا ذلك لما أمكنه القيام بمصالح معاشه ومهماته. ولا تقاربوهن في حال كونكم معتكفين مقيمين حاضرين في مساجد قلوبكم وإلا لتشوّش وقتكم بظهورها.
{ وَلاَ تَأْكُلُوا۟ أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِٱلْبَاطِلِ وَتُدْلُوا۟ بِهَا إِلَى ٱلْحُكَّامِ لِتَأْكُلُوا۟ فَرِيقًا مِّنْ أَمْوَالِ ٱلنَّاسِ بِٱلْإِثْمِ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ }{ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَهِلَّةِ قُلْ هِىَ مَوَٰقِيتُ لِلنَّاسِ وَٱلْحَجِّ وَلَيْسَ ٱلْبِرُّ بِأَن تَأْتُوا۟ ٱلْبُيُوتَ مِن ظُهُورِهَا وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنِ ٱتَّقَىٰ وَأْتُوا۟ ٱلْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَٰبِهَا وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ }
{ ولا تأكلوا أموالكم } معارفكم ومعلوماتكم { بينكم } بباطل شهوات النفس ولذاتها بتحصيل مآربها واكتساب مقاصدها الحسيّة والخيالية باستعمالها { وتدلوا

بها } وترسلوا إلى حكّام النفوس الأمّارة بالسوء { لتأكلوا فريقاً من أموال } القوى الروحانية { بالإثم } أي: بالظلم لصرفكم إياها في ملاذ القوى النفسانية { وأنتم تعلمون } أنّ ذلك إثم ووضع للشيء في غير موضعه.

{ يسئلونك عن الأَهِلة } أي: عن الطوالع القلبية عند إشراق نور الروح عليها { قل هي مواقيت للناس } أي: أوقات وجوب المعاملة في سبيل الله وعزيمة السلوك، وطواف بيت القلب، والوقوف في مقام المعرفة { وليس البرّ بأن تأتوا } بيوت قلوبكم { من ظهورها } من طرق حواسكم ومعلوماتكم المأخوذة من المشاعر البدنية فإنّ ظهر القلب هو الجهة التي تلي البدن { ولكنّ البرّ } برّ { من اتقى } شواغل الحواس وهواجس الخيال ووساوس النفس { وأتوا البيوت من أبوابها } الباطنة التي تلي الروح والحق، فإنّ باب القلب هو الطريق الذي انفتح منه إلى الحق { واتّقوا الله } في الاشتغال بما يشغلكم عنه { لعلكم تفلحون }.

{ وَقَاتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلاَ تَعْتَدُواْ إِنَّ ٱللَّهَ لاَ يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ }{ وَٱقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُم وَأَخْرِجُوهُمْ مِّنْ حَيْثُ أَخْرَجُوكُمْ وَٱلْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ ٱلْقَتْلِ وَلاَ تُقَاتِلُوهُمْ عِندَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ حَتَّىٰ يُقَاتِلُوكُمْ فِيهِ فَإِن قَاتَلُوكُمْ فَٱقْتُلُوهُمْ كَذَلِكَ جَزَآءُ ٱلْكَافِرِينَ } { فَإِنِ ٱنتَهَوْاْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ }

{ وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لاَ تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ للَّهِ فَإِنِ ٱنْتَهَواْ فَلاَ عُدْوَانَ إِلاَّ عَلَى ٱلظَّالِمِينَ } { ٱلشَّهْرُ ٱلْحَرَامُ بِٱلشَّهْرِ ٱلْحَرَامِ وَٱلْحُرُمَاتُ قِصَاصٌ فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَٱعْتَدُواْ عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُواْ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ }

{ وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم } من الشيطان وقوى النفس الأمّارة { ولا تَعْتدوا } في قتالها بأن تميتوها عن قيامها بحقوقها والوقوف على حدودها حتى تقع في التفريط والقصور والفتور { إنّ الله لا يحب المعتدين } لكونهم خارجين عن ظلّ المحبة والوحدة الذي هو العدالة.

{ واقتلوهم حيث } وجدتموهم أزيلوا حياتهم وامنعوهم عن أفعالها بقمع هواها الذي هو روحها حيث كانوا { وأخرجوهم } من مكة الصدر عند استيلائها عليها كما أخرجوكم عنها باستنزالكم إلى بقعة النفس وإخراجكم عن مقرّ القلب. وفتنتهم التي هي عبادة هواها وأصنام لذّاتها أشد من قمع هواها وإماتتها الكلية، أو محنتكم وابتلاؤكم بها عند استيلائها أشدّ عليكم من القتل الذي هو طمس غرائزكم ومحو استعدادكم بالكلية لزيادة الألم هناك { ولا تقاتلوهم عند المسجد الحرام } الذي هو مقام القلب، أي: عند الحضور القلبيّ إذا وافقوكم في توجهكم فإنها أعوانكم على السلوك حينئذ { حتى يقاتلوكم فيه } وينازعوكم في مطالبهم ويجرّوكم عن جناب القلب ودين الحق إلى مقام النفس ودينهم الذي هو عبادة العجل { وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة } من تنازعهم ودواعيهم وتعبدهم { ويكون الدين لله } بتوجيه جميعها إلى جناب القدس ومشايعتها للسرّ في التوجه إلى الحق، ليس للشيطان والهوى فيه نصيب { فإن انتهوا فلا عدوان } عليهم إلا العادين المجاوزين عن حدودهم. { الشهر الحرام بالشهر الحرام } أي: وقت منعها إياكم عن مقصدكم ودينكم وهو بعينها وقت منعكم إياها عن عقوقها حتى ترضى بالوقوف على حدودها، وشهرها الحرام هو وقت قيامها بحقوقها، وشهركم الحرام هو وقت الحضور والمراقبة.

{ وَأَنْفِقُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلاَ تُلْقُواْ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوۤاْ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ }{ وَأَتِمُّواْ ٱلْحَجَّ وَٱلْعُمْرَةَ للَّهِ فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ فَمَا ٱسْتَيْسَرَ مِنَ ٱلْهَدْيِ وَلاَ تَحْلِقُواْ رُؤُوسَكُمْ حَتَّىٰ يَبْلُغَ ٱلْهَدْيُ مَحِلَّهُ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضاً أَوْ بِهِ أَذًى مِّن رَّأْسِهِ فَفِدْيَةٌ مِّن صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ فَإِذَآ أَمِنتُمْ فَمَن تَمَتَّعَ بِٱلْعُمْرَةِ إِلَى ٱلْحَجِّ فَمَا ٱسْتَيْسَرَ مِنَ ٱلْهَدْيِ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلاَثَةِ أَيَّامٍ فِي ٱلْحَجِّ وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ تِلْكَ عَشَرَةٌ كَامِلَةٌ ذٰلِكَ لِمَن لَّمْ يَكُنْ أَهْلُهُ حَاضِرِي ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوۤاْ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ }

{ وأنفقوا في سبيل الله } ما معكم من العلوم بالعمل بها ولا تدّخروها لوقت آخر عسى لا تدركونه فلا شيء أضرّ من التسويف { ولا تلقوا بأيديكم إلى } تهلكة التفريط وتأخير العمل بالعلم وإنفاقه في مصالح النفس فإنه موجب للحرمان { وأحسنوا } أي: وكونوا في عملكم مشاهدين { إنّ الله يحبّ المُحْسنين } المشاهدين في أعمالهم ربّهم، مخلصين له فيها.

{ وأتمُّوا } حجّ توحيد الذات وعمرة توحيد الصفات بإتمام جميع المقامات والأحوال، بالسلوك إلى الله وفي الله، { فإن أحصرتم } بمنع كفار النفس الأمّارة إياكم عنهما { فما استيسرَ من الهدي } فجاهدوا في الله بسوق هدي النفس وذبحها بفناء كعبة القلب أو عرصة ما تمنى منها القلب من المقام. وما استيسر إشارة إلى أنّ النفوس مختلفة في استعداداتها وصفاتها، فبعضها موصوف بصفات حيوان ضعيف، وبعضها بصفات حيوان قوي. ولكلّ ما تيسر أو بعضها بصفات حيوان ذلول سهل الانقياد، وبعضها بصفات حيوان صعب عسر الانقياد، وربما كان لبعضها صفة لم يتيسر قمعها وإن تيسر قمع سائر صفاتها. ومثل هذا الحاج محصر أبداً.

{ فمن كان منكم مريضاً } أي: ضعيف الاستعداد مملوء القلب بعوارض لازمة في جبلتها أو مكتسبة من العادات { أو به أذى من رأسه } أو ممنوعاً مبتلى بهموم وتعلّقات ورذائل وهيئات، ولم يتيسر له السلوك والمجاهدة على ما ينبغي وأراد أن يقتصر على طيب القلب وصفاء الوقت ليبقى على الفطرة ولا ينتكس وينحط عن درجته وإن لم يترق. فعليه فدية من إمساك عن بعض لذاته وشواغله النفسانية. أو فعل برّ أو رياضة ومجاهدة تقمع بعض القوى المزاحمة، فليحفظ وقته وليراع صفاءه بزهد ما أو عبادة أو مخالفة نفس { فإذا أمنتم } من العدوّ المحصر { فمن تمتع } بذوق تجلي الصفات متوسلاً به إلى حج تجلي الذات { فما استيسر من الهدي } بحسب حاله { فمن لم يجد } لضعف نفسه وخمودها وانقهارها { فصيام ثلاثة أيام } فعليه الإمساك عن أفعال القوى التي هي الأصول القوية في وقت التجلي والاستغراق في الجمع والفناء في الوحدة فإنها لا بدّ من أن تحجب وتجرّ إلى حضيض النفس والصدر، وهي العقل والوهم والمتخيلة

{ وسبعة إذا رجعتم } إلى مقام التفصيل والكثرة وهي الحواس الخمس الظاهرة والغضب والشهوة ليكون عند الاستقامة في الأشياء بالله { تلك عشرة كاملة } فذلكة،

أي: تلك الإمساكات المذكورة عن أفعال هذه القوى والمشاعر جميع التفاصيل الكاملة الموجبة لأفاعيل قوى وجوده الموهوب بالحق عند حصول الكمال، كما قال: « كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به إلى آخر الحديث.

{ ذلك } الحكم { لمن لم يكن أهله حاضري المسجد الحرام } من المحبوبين الكاملين الحاضري مقام القلب في الوحدة، فإنه لا هدى له ولا مجاهدة ولا رياضة في وصوله وسلوكه إلى الله، بل هو للمحبين.

{ ولا تحلقوا رؤوسكم } ولا تزيلوا آثار الطبيعة وتخاروا طيب القلب وفراغ الخاطر من الهموم والتعلقات كلها، والعادات والعبادات وتقتصروا على صفاء الوقت كما هو مذهب القلندرية { حتى يبلغ } هدي النفس { محله }أي: مكانه، وهو مذبحه أو منحره الذي يقتضي أن تكون أفعالها التي كانت محرّمة عند حياتها بهواها تصير حلاً عند قتلها لكونها بالقلب فتأمنوا من بقاياها، وإلا لتشوّش وقتكم وتكدّر صفاؤكم بظهورها ونشاطها بالدعوى عند بسط القلب كما هو حال أكثر القلندرية اليوم.

{ وَأَنْفِقُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلاَ تُلْقُواْ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُواْ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ }

{ وَأَتِمُّواْ ٱلْحَجَّ وَٱلْعُمْرَةَ للَّهِ فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ فَمَا ٱسْتَيْسَرَ مِنَ ٱلْهَدْيِ وَلاَ تَحْلِقُواْ رُؤُوسَكُمْ حَتَّىٰ يَبْلُغَ ٱلْهَدْيُ مَحِلَّهُ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضاً أَوْ بِهِ أَذًى مِّن رَّأْسِهِ فَفِدْيَةٌ مِّن صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ فَإِذَآ أَمِنتُمْ فَمَن تَمَتَّعَ بِٱلْعُمْرَةِ إِلَى ٱلْحَجِّ فَمَا ٱسْتَيْسَرَ مِنَ ٱلْهَدْيِ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلاَثَةِ أَيَّامٍ فِي ٱلْحَجِّ وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ تِلْكَ عَشَرَةٌ كَامِلَةٌ ذٰلِكَ لِمَن لَّمْ يَكُنْ أَهْلُهُ حَاضِرِي ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُواْ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ }

{ وأنفقوا في سبيل الله } ما معكم من العلوم بالعمل بها ولا تدّخروها لوقت آخر عسى لا تدركونه فلا شيء أضرّ من التسويف { ولا تلقوا بأيديكم إلى } تهلكة التفريط وتأخير العمل بالعلم وإنفاقه في مصالح النفس فإنه موجب للحرمان { وأحسنوا } أي: وكونوا في عملكم مشاهدين { إنّ الله يحبّ المُحْسنين } المشاهدين في أعمالهم ربّهم، مخلصين له فيها.

{ وأتمُّوا } حجّ توحيد الذات وعمرة توحيد الصفات بإتمام جميع المقامات والأحوال، بالسلوك إلى الله وفي الله، { فإن أحصرتم } بمنع كفار النفس الأمّارة إياكم عنهما { فما استيسرَ من الهدي } فجاهدوا في الله بسوق هدي النفس وذبحها بفناء كعبة القلب أو عرصة ما تمنى منها القلب من المقام. وما استيسر إشارة إلى أنّ النفوس مختلفة في استعداداتها وصفاتها، فبعضها موصوف بصفات حيوان ضعيف، وبعضها بصفات حيوان قوي. ولكلّ ما تيسر أو بعضها بصفات حيوان ذلول سهل الانقياد، وبعضها بصفات حيوان صعب عسر الانقياد، وربما كان لبعضها صفة لم يتيسر قمعها وإن تيسر قمع سائر صفاتها. ومثل هذا الحاج محصر أبداً.

{ ولا تحلقوا رؤوسكم } ولا تزيلوا آثار الطبيعة وتخاروا طيب القلب وفراغ الخاطر من الهموم والتعلقات كلها، والعادات والعبادات وتقتصروا على صفاء الوقت كما هو مذهب القلندرية { حتى يبلغ } هدي النفس { محله }

أي: مكانه، وهو مذبحه أو منحره الذي يقتضي أن تكون أفعالها التي كانت محرّمة عند حياتها بهواها تصير حلاً عند قتلها لكونها بالقلب فتأمنوا من بقاياها، وإلا لتشوّش وقتكم وتكدّر صفاؤكم بظهورها ونشاطها بالدعوى عند بسط القلب كما هو حال أكثر القلندرية اليوم.

{ فمن كان منكم مريضاً } أي: ضعيف الاستعداد مملوء القلب بعوارض لازمة في جبلتها أو مكتسبة من العادات { أو به أذى من رأسه } أو ممنوعاً مبتلى بهموم وتعلّقات ورذائل وهيئات، ولم يتيسر له السلوك والمجاهدة على ما ينبغي وأراد أن يقتصر على طيب القلب وصفاء الوقت ليبقى على الفطرة ولا ينتكس وينحط عن درجته وإن لم يترق. فعليه فدية من إمساك عن بعض لذاته وشواغله النفسانية. أو فعل برّ أو رياضة ومجاهدة تقمع بعض القوى المزاحمة، فليحفظ وقته وليراع صفاءه بزهد ما أو عبادة أو مخالفة نفس { فإذا أمنتم } من العدوّ المحصر { فمن تمتع } بذوق تجلي الصفات متوسلاً به إلى حج تجلي الذات { فما استيسر من الهدي } بحسب حاله { فمن لم يجد } لضعف نفسه وخمودها وانقهارها { فصيام ثلاثة أيام } فعليه الإمساك عن أفعال القوى التي هي الأصول القوية في وقت التجلي والاستغراق في الجمع والفناء في الوحدة فإنها لا بدّ من أن تحجب وتجرّ إلى حضيض النفس والصدر، وهي العقل والوهم والمتخيلة

{ وسبعة إذا رجعتم } إلى مقام التفصيل والكثرة وهي الحواس الخمس الظاهرة والغضب والشهوة ليكون عند الاستقامة في الأشياء بالله { تلك عشرة كاملة } فذلكة، أي: تلك الإمساكات المذكورة عن أفعال هذه القوى والمشاعر جميع التفاصيل الكاملة الموجبة لأفاعيل قوى وجوده الموهوب بالحق عند حصول الكمال، كما قال: « كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به إلى آخر الحديث { ذلك } الحكم { لمن لم يكن أهله حاضري المسجد الحرام } من المحبوبين الكاملين الحاضري مقام القلب في الوحدة، فإنه لا هدى له ولا مجاهدة ولا رياضة في وصوله وسلوكه إلى الله، بل هو للمحبين.

{ ٱلْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَاتٌ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ ٱلْحَجَّ فَلاَ رَفَثَ وَلاَ فُسُوقَ وَلاَ جِدَالَ فِي ٱلْحَجِّ وَمَا تَفْعَلُواْ مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ ٱللَّهُ وَتَزَوَّدُواْ فَإِنَّ خَيْرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقْوَىٰ وَٱتَّقُونِ يٰأُوْلِي ٱلأَلْبَابِ }{ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَبْتَغُواْ فَضْلاً مِّن رَّبِّكُمْ فَإِذَآ أَفَضْتُم مِّنْ عَرَفَٰتٍ فَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ عِندَ ٱلْمَشْعَرِ ٱلْحَرَامِ وَٱذْكُرُوهُ كَمَا هَدَٰكُمْ وَإِن كُنْتُمْ مِّن قَبْلِهِ لَمِنَ ٱلضَّآلِّينَ }

{ ثُمَّ أَفِيضُواْ مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ ٱلنَّاسُ وَٱسْتَغْفِرُواْ ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ }

{ الحج أشهر معلوماتٌ } أي: وقت الحج أزمنة معلومة، وهو من وقت بلوغ الحلم إلى الأربعين، كما قال تعالى في وصف البقرة:

{ لاَّ فَارِضٌ وَلاَ بِكْرٌ عَوَانٌ بَيْنَ ذٰلِكَ }[البقرة، الآية: ٦٨]،

{ فمن فرض فيهنّ الحج } على نفسه بالعزيمة والتزم { فلا رَفْث } أي: فاحشة ظهور القوة الشهوانية { ولا فُسُوق } أي لأسباب يعني خروج القوّة الغضبية عن طاعة القلب { ولا جدال } أي: تعدّي القوة النطقية بالشيطنة { في الحجّ } أي: في قصد بيت القلب { وما تفعلوا من خير } من فضيلة من أفعال هذه القوى الثلاث بأمر الشرع والعقل دون رذائلها { يعلمه الله } ويثبكم عليه { وتزودوا } من فضائلها التي يلزمها الاجتناب عن رذائلها{ فإنّ خيرَ الزادِ التقوى } منها { واتقونِ } في أعمالكم ونياتكم { يا أُولي الألبَاب } فإن قضية اللبّ أي: العقل الخالص من شوب الوهم وقشر المادة اتقائي.

{ ليس عليكم جناحٌ أن تَبْتغوا فضلاً من ربّكم } أي: لا حرج عليكم عند الرجوع إلى الكثرة في أن تطلبوا رفقاً لأنفسكم وتمتعوها بحظوظها على مقتضى الشرع بإذن الحق، فإنّ حظها حينئذ يقويها على موافقة القلب في مقاصده ولأنها غير طاغية لتنوّرها بنور الحق { فإذا أفضتم } أي: دفعتم أنفسكم من مقام المعرفة التامة الذي هو نهاية مناسك الحج وأمّها كما قال النبي صلى الله عليه وسلم: « الحجّ عرفة « { فاذكروا الله عند المشْعر الحرام }

أي: شاهدوا جمال الله عند السرّ الروحيّ المسمّى بالخفيّ، فإنّ الذكر في هذا المقام هو المشاهدة، والمشْعر هو محل الشعور بالجمال المحرّم من أن يصل إليه الغير { واذكروه كما هَدَاكم } إلى ذكره في المراتب فإنه تعالى هدى أولاً إلى الذكر باللسان وهو ذكر النفس ثم إلى الذكر بالقلب وهو ذكر الأفعال الذي تصدر نعماء الله وآلاؤه منه. ثم ذكر السرّ وهو معاينة الأفعال ومكاشفة علوم تجليات الصفات. ثم ذكر الروح وهو مشاهدة أنوار تجليات الصفات مع ملاحظة نور الذات. ثم ذكر الخفيّ وهو مشاهدة جمال الذات مع بقاء الإثنينية. ثم ذكر الذات وهو الشهود الذاتي بارتفاع البقية { وإن كنتم من قَبْله } أي: من قبل الوصول إلى عرفات المعرفة والوقوف بها { لمن الضالِين } عن هذه الأذكار.

{ ثم أفيضُوا من حيث أفاضَ الناس } ثم أفيضوا إلى ظواهر العبادات والطاعات وسائر وظائف الشرعيات والمعاملات من حيث، أي: من مقام إفاضة سائر الناس فيها، وكونوا كأحدهم. قيل لجنيد رحمة الله عليه: ما النهاية؟ قال: الرجوع إلى البداية { واسْتَغفروا الله } من ظهور النفس وتبرمها بالحال وطغيانها. قال النبي صلى الله عليه وسلم: « إنه ليغان على قلبي، وإني لأستغفر الله في اليوم سبعين مرة « وقال صلى الله عليه وسلم: « اللهم ثبتني على دينك

« ، فقيل له في ذلك فقال صلى الله عليه وسلم: « أو ما يؤمنني، إنّ مثل القلب كمثل ريشة في فلاة، تقلّبها الرياح كيف شاءت «. « ولما تورّمت قدماه فقالت له عائشة رضي الله عنها: أما غفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر؟ قال صلى الله عليه وسلم: « أفلا أكون عبداً شكوراً « « وقال أمير المؤمنين عليه السلام: « أعوذ بالله من الضلال بعد الهدى «.

{ فَإِذَا قَضَيْتُمْ مَّنَاسِكَكُمْ فَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ كَذِكْرِكُمْ آبَآءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْراً فَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ رَبَّنَآ آتِنَا فِي ٱلدُّنْيَا وَمَا لَهُ فِي ٱلآخِرَةِ مِنْ خَلاَقٍ } { وِمِنْهُمْ مَّن يَقُولُ رَبَّنَآ آتِنَا فِي ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي ٱلآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ }{ أُولَـٰئِكَ لَهُمْ نَصِيبٌ مِّمَّا كَسَبُواْ وَٱللَّهُ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ } { وَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ فِي أَيَّامٍ مَّعْدُودَاتٍ فَمَن تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ فَلاَ إِثْمَ عَلَيْهِ وَمَن تَأَخَّرَ فَلا إِثْمَ عَلَيْهِ لِمَنِ ٱتَّقَىٰ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوۤاْ أَنَّكُمْ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ } { وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي ٱلْحَيٰوةِ ٱلدُّنْيَا وَيُشْهِدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ ٱلْخِصَامِ }{ وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِي ٱلأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ ٱلْحَرْثَ وَٱلنَّسْلَ وَٱللَّهُ لاَ يُحِبُّ ٱلْفَسَادَ }

{ فإذا قضيتم مناسككم } وفرغتم من الحجّ { فاذكروا الله كذكركم آباءكم أو أشدّ ذكراً } أي: فلا تكونوا كأهل العادة مشغولين بذكر الأنساب والمفاخرات وسائر أحوال الدنيا، فإنّ ذلك يكدّر وقتكم ويقسي قلوبكم بل كونوا مشتغلين بأنواع الذكر والمذاكرة مع الإخوان مثل ما كنتم تذكرون أحوال الأنساب وسائر أحوال الدنيا قبل السلوك أو كما يذكر الناس هذه الأحوال بالعادة وأبلغ أو أقوى وأكثر ذكراً منها ليبقى صفاؤكم ويهتدي بكم الناس { فمن الناس من يقول ربنا } أي: لا يطلب إلا متاع الدنيا ولا يشتغل إلا بذكرها ولا يعبد الله إلا لأجلها

{ وما له في الآخرة من خلاق } فإنّ توجهه إلى الأخس يمنعه عن قبول الأشرف لعدم نهوض همّته إليه واكتساب الظلمة المنافية للنور.

{ ومنهم من يقول ربنا آتنا } أي: يطلب خير كل من الدارين ويحترز عن الاحتجاب بالظلمة والتعذب بنيران الطبيعة والحرمان عن أنوار الرحمة { أولئك لهم نصيبٌ مما كسبوا } من حظوظ الآخرة وأنوار دار القرار واللذات الباقية بالأعمال الصالحة بعد المحاسبة وحط بعض الحسنات بالسيئات والتعذيب بحسبها أو العفو.{ واذكرُوا الله في أيام معدوداتٍ } أي: مراتب معدودة بعد الفراغ من الحجّ، وهو مرتبة الروح والقلب والنفس، لأن الواصل إذا رجع، رجع إلى هذه المراتب وعليه في المراتب الثلاث أن يكون بالله فذلك ذكره

{ فمن تعجّل في يومين فلا إثم عليه } أي: فمن تعجّل إلى حظوظه في مرتبة الروح والقلب فلا إثم عليه إذ الروح والقلب وحظوظهما لا يحجبان ولا يضران. ومعنى التعجل هو أن الحركة إذا كانت بالله كانت أسرع ولا يكون معها لبث ولا وقوف ريثما يظهر القلب أو الروح ويصير حجاباً نورياً كما يكون لأصحاب التلوين { ومن تأخر } إلى الثالث الذي هو مرتبة النفس

{ فلا إثم عليه لمن اتقى } أي: ذلك الحكم لمن اتقى أن يكون مع حظوظ النفس بالنفس، فإنّ النفس ألزم لحظها من صاحبيها وحظها أغلظ وأبعد من النور من حظوظهما وسريعاً ما تظهر للزوم الطيش والحركة إياها بخلاف صاحبيها وحظها أيضاً كثيراً ما يحجب، وإذا حجب كان حجابه غليظاً ظلمانياً فالاحتراز هناك والاحتياط واجب وأولى من الباقين لأنهما إن ظهرا رقّ حجابهما وسهل زواله، أو ذلك التخيير لمن اتقى في المراتب الثلاث. { واتقوا الله } في المواطن الثلاثة من ظهور الأنانية والآنية حتى تكونوا في الحظوظ به لا بالنفس ولا بالقلب ولا بالروح { واعلموا أنكم إليه تُحْشرون } أي: أنكم محشورون معه تحشرون من اسم إلى اسم حاضرون بحضرته فأنتم على خطر عظيم بخلاف سائر الناس كما ورد في الحديث: « المخلصون على خطر عظيم » وعن النبي صلى الله عليه وسلم عن الله تعالى:

{ وَإِذَا قِيلَ لَهُ ٱتَّقِ ٱللَّهَ أَخَذَتْهُ ٱلْعِزَّةُ بِٱلإِثْمِ فَحَسْبُهُ جَهَنَّمُ وَلَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ }

{ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْرِي نَفْسَهُ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ رَؤُوفٌ بِٱلْعِبَادِ }

{ يٰأَيُّهَا ٱلَّذِينَ آمَنُواْ ٱدْخُلُواْ فِي ٱلسِّلْمِ كَآفَّةً وَلاَ تَتَّبِعُواْ خُطُوَاتِ ٱلشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ }{ فَإِن زَلَلْتُمْ مِّن بَعْدِ مَا جَآءَتْكُمُ ٱلْبَيِّنَاتُ فَٱعْلَمُواْ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ } { هَلْ يَنظُرُونَ إِلاَّ أَن يَأْتِيَهُمُ ٱللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِّنَ ٱلْغَمَامِ وَٱلْمَلاۤئِكَةُ وَقُضِيَ ٱلأَمْرُ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلأُمُورُ }

{ سَلْ بَنِي إِسْرَائِيلَ كَمْ آتَيْنَاهُم مِّنْ آيَةٍ بَيِّنَةٍ وَمَن يُبَدِّلْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ مِن بَعْدِ مَا جَآءَتْهُ فَإِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ }

{ زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلْحَيَاةُ ٱلدُّنْيَا وَيَسْخَرُونَ مِنَ ٱلَّذِينَ آمَنُواْ وَٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ فَوْقَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَامَةِ وَٱللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ }

{ وإذا قيل له اتق الله أخذته العزّة بالإثم } أي: حملته الحمية النفسانية حمية الجاهلية على الإثم لجاجاً وأشراً لظهور نفسه حينئذ وزعمه أنه أعلم بما يفعل من ناصحه { فَحَسبه جهنم } أي: غايته عمق حضيض رتبته التي هو فيها وظلمتها، فإنّ جهنم معناه: مهوى بعيد العمق مظلمة { يشري نفسه ابْتِغاء مرضاة الله } يبذل نفسه في سلوك سبيل الله طلباً لرضاه { ادخلوا في السلم } أي: في الاستسلام وتسليم الوجوه لله، إذ معاداة القوى بعضها بعضاً، وعدم موافقتها في التسليم لأمر الله دليل تتبع الشيطان، وهو يريد أن تستحقوا قهر الله بارتكاب الإسرافات المذمومة لعداوته الغريزية لكم لاختلاف جبلته وجبلتكم، وقصوره عن نور فطرتكم، لكونه ناريّ الخلقة لا يطلب منكم إلا أن تكونوا ناريين مثله لا نورانيين. فهو عدوّ في الحقيقة في صورة المحبّ.

{ فإن زللتم } عن مقام التسليم لأمر الله { من بعد ما جاءتكم } دلائل تجليات الأفعال والصفات { فاعلموا أن الله عزيزٌ } غالب يقهركم { حكيمٌ } لا يقهر إلا على مقتضى الحكمة، والحكمة تقتضي قهر المخالف المنازع، ليعتبر المطيع الموافق ويزيد في الطاعة. { هل يَنْظرون } أي: هل ينتظرون { إلا أن يأتيهم } يتجلى { الله في ظلل } صفات الهوية من جملة تجليّات الصفات وصور ملائكة القوى السماوية. وقضى في اللوح أمر إهلاكهم { وإلى الله تَرجع الأُمور } فيقابل كل امرئ بجزائه أو تزهق إليه بالفناء.

{ كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ فِيمَا ٱخْتَلَفُواْ فِيهِ وَمَا ٱخْتَلَفَ فِيهِ إِلاَّ ٱلَّذِينَ أُوتُوهُ مِن بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ بَغْياً بَيْنَهُمْ فَهَدَى ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ آمَنُواْ لِمَا ٱخْتَلَفُواْ فِيهِ مِنَ ٱلْحَقِّ بِإِذْنِهِ وَٱللَّهُ يَهْدِي مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ }

{ أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُواْ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ ٱلَّذِينَ خَلَوْاْ مِن قَبْلِكُم مَّسَّتْهُمُ ٱلْبَأْسَآءُ وَٱلضَّرَّآءُ وَزُلْزِلُواْ حَتَّىٰ يَقُولَ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ آمَنُواْ مَعَهُ مَتَىٰ نَصْرُ ٱللَّهِ أَلا إِنَّ نَصْرَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ }

{ يَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلْ مَآ أَنْفَقْتُمْ مِّنْ خَيْرٍ فَلِلْوَالِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ وَٱلْيَتَامَىٰ وَٱلْمَسَاكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ وَمَا تَفْعَلُواْ مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ }

{ كان الناس أمّة واحدة } أي: على الفطرة ودين الحق، كما قال صلى الله عليه وسلم: « كلّ مولود يولد على الفطرة « ، وهو في عهد الفطرة الأولى على الحقيقة، أو في زمن الطفولة، أو في عهد آدم عليه السلام { كان الناس أمّة واحدة } ثم اختلفوا في النشأة بحسب اختلاف طبائعهم وغلبة صفات نفوسهم، وتفرّق أهوائهم. فإن تضادّ أصول بنيتهم ومراكز أبدانهم باختلاف البقاع والأهوية، اقتضى ذلك وكذا ما في طباعهم من جذب النفع الخاص ودفع الضرّ الخاص لاحتجاب كل بمادة بدنه واقتضاء الحكمة الإلهية ذلك لمصلحة النشوء والنماء يقتضي التعادي والتخالف

{ فبعثَ الله النبيين } ليدعوهم من الخلاف إلى الوفاق، ومن الكثرة إلى الوحدة، ومن العداوة إلى المحبة، فتفرّقوا وتحزبوا عليهم وتميزوا، فأمّا السفليون الذين رسخت في طباعهم محبة الباطل وغلب على قلوبهم الرين وطبع عليها وعميت وزال استعدادهم بغلبة هواهم، فازدادوا خلافاً وعناداً، فكأنهم ما اختلفوا إلا عند بعثهم وإتيانهم بالكتاب الذي هو سبب ظهور الحق والوفاق حسداً بينهم، ناشئاً من عند أنفسهم، وغلبة هواهم واحتجابهم. وأمّا العلويون الذين بقوا على الصفاء الأصليّ والاستعداد الأول فهداهم الله إلى الحق الذي اختلفوا فيه وزال خلافهم وسلكوا الصراط المستقيم.

{ أم حَسِبْتم أن تَدْخلوا } جنّة تجلّي الجمال { ولما يَأْتكم } حال { الذين } مضوا { من قَبْلكم مستهم } بأساء الترك والتجريد والفقر والافتقار، وضرّاء المجاهدة والرياضة وكسر النفس بالعبادة { وزلزلوا } بدواعي الشوق والمحبة عن مقارّ نفوسهم ليظهروا ما في استعدادهم بالقوّة { حتى يقول الرسول والذين آمنوا معه متى نَصْر الله } أي: حتى تضجروا من طول مدّة الحجاب، وكثرة الجهاد من الفراق، وعيل صبرهم عن مشاهدة الجمال، وذوق الوصال، وطلبوا نصر الله بالتجلي على قمع صفات النفوس مع قوة مصابرتهم، وحسن تحملهم، لما يفعل

المحبوب ويريد بهم من ابتلائهم بالهجران، وإذاقتهم طعم الفرقة لاشتداد قوة المحبة، فكيف بغيرهم؟ فأجيبوا إذا بلغ جهدهم ونفدت طاقتهم وقيل لهم { ألا إنّ نصر الله قريب } أي: رفع الحجاب وظهرت آثار الجمال.

{ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ وَعَسَىٰ أَن تَكْرَهُواْ شَيْئاً وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَعَسَىٰ أَن تُحِبُّواْ شَيْئاً وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ }

{ كُتِب عليكمُ } قتال النفس والشيطان وهو مكروه لكم أمرّ من طعم العلقم، وأشدّ من ضغم الضيغم { وعسى أن تكرهوا شيئاً وهو خيرٌ لكم } لاحتجابكم بهوى النفس وحب اللذّة العاجلة عما في ضمنه من الخير الكثير، واللذّة العظيمة الروحانية التي تستحقر تلك الشدّة السريعة، الانقضاء بالقياس إلى ذلك الخير الباقي، واللذّة السرمدية وكذا عكسه { والله يعلم } ما في الأمور من الخير والشرّ { وأنتم لا تَعْلمون } ذلك لاحتجابكم بالعاجل عن الآجل، وبالظاهر عن الباطن.

{ يَسْأَلُونَكَ عَنِ ٱلشَّهْرِ ٱلْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ وَصَدٌّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَكُفْرٌ بِهِ وَٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِ مِنْهُ أَكْبَرُ عِندَ ٱللَّهِ وَٱلْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ ٱلْقَتْلِ وَلاَ يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ ٱسْتَطَاعُواْ وَمَن يَرْتَدِدْ مِنْكُمْ عَن دِينِه فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُوْلَـٰئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي ٱلدُّنْيَا وَٱلآخِرَةِ وَأُوْلَـٰئِكَ أَصْحَابُ ٱلنَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ }

{ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أُوْلَـٰئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ }

{ يَسْأَلُونَكَ عَنِ ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَآ إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَآ أَكْبَرُ مِن نَّفْعِهِمَا وَيَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلِ ٱلْعَفْوَ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلأيَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ }{ فِي ٱلدُّنْيَا وَٱلآخِرَةِ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ ٱلْيَتَامَىٰ قُلْ إِصْلاَحٌ لَّهُمْ خَيْرٌ وَإِنْ تُخَالِطُوهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ ٱلْمُفْسِدَ مِنَ ٱلْمُصْلِحِ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لأَعْنَتَكُمْ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ }

{ وَلاَ تَنْكِحُواْ ٱلْمُشْرِكَاتِ حَتَّىٰ يُؤْمِنَّ وَلأَمَةٌ مُّؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكَةٍ
وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ وَلاَ تُنْكِحُواْ ٱلْمُشْرِكِينَ حَتَّىٰ يُؤْمِنُواْ وَلَعَبْدٌ مُّؤْمِنٌ خَيْرٌ مِّن
مُّشْرِكٍ وَلَوْ أَعْجَبَكُمْ أُوْلَـٰئِكَ يَدْعُونَ إِلَى ٱلنَّارِ وَٱللَّهُ يَدْعُواْ إِلَى ٱلْجَنَّةِ
وَٱلْمَغْفِرَةِ بِإِذْنِهِ وَيُبَيِّنُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ }
{ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ ٱلْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذًى فَٱعْتَزِلُواْ ٱلنِّسَآءَ فِي ٱلْمَحِيضِ
وَلاَ تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطْهُرْنَ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ
ٱللَّهُ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ }
{ نِسَآؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ فَأْتُواْ حَرْثَكُمْ أَنَّىٰ شِئْتُمْ وَقَدِّمُواْ لأَنْفُسِكُمْ وَٱتَّقُواْ
ٱللَّهَ وَٱعْلَمُواْ أَنَّكُمْ مُّلاَقُوهُ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ }{ وَلاَ تَجْعَلُواْ ٱللَّهَ عُرْضَةً
لأَيْمَانِكُمْ أَن تَبَرُّواْ وَتَتَّقُواْ وَتُصْلِحُواْ بَيْنَ ٱلنَّاسِ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ }
{ لاَّ يُؤَاخِذُكُمُ ٱللَّهُ بِٱللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ
وَلَـٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ وَٱللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ }
{ لِّلَّذِينَ يُؤْلُونَ مِن نِّسَآئِهِمْ تَرَبُّصُ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ فَإِنْ فَآءُو فَإِنَّ ٱللَّهَ
غَفُورٌ رَّحِيمٌ }{ وَإِنْ عَزَمُواْ ٱلطَّلاَقَ فَإِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ }
{ وَٱلْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ ثَلاَثَةَ قُرُوءٍ وَلاَ يَحِلُّ لَهُنَّ أَن يَكْتُمْنَ مَا
خَلَقَ ٱللَّهُ فِي أَرْحَامِهِنَّ إِن كُنَّ يُؤْمِنَّ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلآخِرِ وَبُعُولَتُهُنَّ أَحَقُّ
بِرَدِّهِنَّ فِي ذَلِكَ إِنْ أَرَادُواْ إِصْلاَحاً وَلَهُنَّ مِثْلُ ٱلَّذِي عَلَيْهِنَّ
بِٱلْمَعْرُوفِ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ }
{ ٱلطَّلَٰقُ مَرَّتَانِ فَإِمْسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَٰنٍ وَلاَ يَحِلُّ لَكُمْ أَن
تَأْخُذُواْ مِمَّآ آتَيْتُمُوهُنَّ شَيْئاً إِلاَّ أَن يَخَافَآ أَلاَّ يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِ فَإِنْ خِفْتُمْ
أَلاَّ يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِ فَلاَ جُنَاحَ عَلَيْهِمَا فِيمَا ٱفْتَدَتْ بِهِ تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ فَلاَ
تَعْتَدُوهَا وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ ٱللَّهِ فَأُوْلَـٰئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ }

{ فَإِنْ طَلَّقَهَا فَلاَ تَحِلُّ لَهُ مِن بَعْدُ حَتَّىٰ تَنْكِحَ زَوْجاً غَيْرَهُ فَإِن طَلَّقَهَا فَلاَ جُنَاحَ عَلَيْهِمَآ أَن يَتَرَاجَعَآ إِن ظَنَّآ أَن يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِ وَتِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ يُبَيِّنُهَا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ }

{ وَإِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ سَرِّحُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَلاَ تُمْسِكُوهُنَّ ضِرَاراً لِّتَعْتَدُواْ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ وَلاَ تَتَّخِذُوۤاْ آيَاتِ ٱللَّهِ هُزُواً وَٱذْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمَآ أَنزَلَ عَلَيْكُمْ مِّنَ ٱلْكِتَابِ وَٱلْحِكْمَةِ يَعِظُكُمْ بِهِ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوۤاْ أَنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ }

{ وَإِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلاَ تَعْضُلُوهُنَّ أَن يَنكِحْنَ أَزْوَاجَهُنَّ إِذَا تَرَاضَوْاْ بَيْنَهُمْ بِٱلْمَعْرُوفِ ذَٰلِكَ يُوعَظُ بِهِ مَن كَانَ مِنكُمْ يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلآخِرِ ذَٰلِكُمْ أَزْكَىٰ لَكُمْ وَأَطْهَرُ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ }

{ وَٱلْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلاَدَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَن يُتِمَّ ٱلرَّضَاعَةَ وَعلَى ٱلْمَوْلُودِ لَهُ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ لاَ تُكَلَّفُ نَفْسٌ إِلاَّ وُسْعَهَا لاَ تُضَآرَّ وَالِدَةٌ بِوَلَدِهَا وَلاَ مَوْلُودٌ لَّهُ بِوَلَدِهِ وَعَلَى ٱلْوَارِثِ مِثْلُ ذَٰلِكَ فَإِنْ أَرَادَا فِصَالاً عَن تَرَاضٍ مِّنْهُمَا وَتَشَاوُرٍ فَلاَ جُنَاحَ عَلَيْهِمَا وَإِنْ أَرَدتُّمْ أَن تَسْتَرْضِعُواْ أَوْلاَدَكُمْ فَلاَ جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِذَا سَلَّمْتُم مَّآ آتَيْتُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوۤاْ أَنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ }

{ وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجاً يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْراً فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلاَ جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا فَعَلْنَ فِيۤ أَنْفُسِهِنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ }

{ وَلاَ جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا عَرَّضْتُمْ بِهِ مِنْ خِطْبَةِ ٱلنِّسَآءِ أَوْ أَكْنَنتُمْ فِيۤ أَنْفُسِكُمْ عَلِمَ ٱللَّهُ أَنَّكُمْ سَتَذْكُرُونَهُنَّ وَلَـٰكِن لاَّ تُوَاعِدُوهُنَّ سِرّاً إِلاَّ أَن تَقُولُواْ قَوْلاً مَّعْرُوفاً وَلاَ تَعْزِمُواْ عُقْدَةَ ٱلنِّكَاحِ حَتَّىٰ يَبْلُغَ ٱلْكِتَابُ أَجَلَهُ

وَٱعْلَمُواْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي أَنْفُسِكُمْ فَٱحْذَرُوهُ وَٱعْلَمُواْ أَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ } { لاَّ جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِن طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ مَا لَمْ تَمَسُّوهُنَّ أَوْ تَفْرِضُواْ لَهُنَّ فَرِيضَةً وَمَتِّعُوهُنَّ عَلَى ٱلْمُوسِعِ قَدَرُهُ وَعَلَى ٱلْمُقْتِرِ قَدَرُهُ مَتَاعاً بِٱلْمَعْرُوفِ حَقّاً عَلَى ٱلْمُحْسِنِينَ }

{ وَإِن طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِن قَبْلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ وَقَدْ فَرَضْتُمْ لَهُنَّ فَرِيضَةً فَنِصْفُ مَا فَرَضْتُمْ إِلاَّ أَن يَعْفُونَ أَوْ يَعْفُوَاْ ٱلَّذِي بِيَدِهِ عُقْدَةُ ٱلنِّكَاحِ وَأَن تَعْفُواْ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ وَلاَ تَنسَوُاْ ٱلْفَضْلَ بَيْنَكُمْ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ }

{ حَافِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وٱلصَّلَوٰةِ ٱلْوُسْطَىٰ وَقُومُواْ للَّهِ قَٰنِتِينَ }

{ فَإِنْ خِفْتُمْ فَرِجَالاً أَوْ رُكْبَاناً فَإِذَآ أَمِنتُمْ فَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ كَمَا عَلَّمَكُم مَّا لَمْ تَكُونُواْ تَعْلَمُونَ }{ وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجاً وَصِيَّةً لأَزْوَاجِهِمْ مَّتَاعاً إِلَى ٱلْحَوْلِ غَيْرَ إِخْرَاجٍ فَإِنْ خَرَجْنَ فَلاَ جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِي مَا فَعَلْنَ فِي أَنْفُسِهِنَّ مِن مَّعْرُوفٍ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ }

{ وَلِلْمُطَلَّقَاتِ مَتَاعٌ بِٱلْمَعْرُوفِ حَقّاً عَلَى ٱلْمُتَّقِينَ }

{ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ }{ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ خَرَجُواْ مِن دِيَٰرِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ ٱلْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ ٱللَّهُ مُوتُواْ ثُمَّ أَحْيَٰهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لاَ يَشْكُرُونَ }

{ وَقَٰتِلُواْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَٱعْلَمُواْ أَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ }

{ مَّن ذَا ٱلَّذِي يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضاً حَسَناً فَيُضَٰعِفَهُ لَهُ أَضْعَافاً كَثِيرَةً وَٱللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْسُطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ }

{ يسـئلُونَك عـن الشـهر الحَـرَام قِتـال فيـه } يسـألونك عـن جهـاد النفـس وأعوانهـا، والشـيطان وجنـوده في وقـت التوجـه والسـلوك إلى الحـق وجمعيـة الباطـن الحـرام فيـه حركـة الـسرّ { قُـلْ } الجهـاد في ذلـك الوقـت أمـر عظيـم شـاق، وصرف وجوهكـم عـن سـبيل اللـه، ومقـام الـسر، ومحـل الحضـور احتجـاب عـن الحـق، وإخـراج أهـل القلـب

الذين هم القوى الروحانية عن مقارّهم أعظم وأكبر عند الله، وفتنة الشرك والكفر وبلاؤهما عليكم أشدّ من قتلكم إياهم بسيف الرياضة.

ولا تزال تلك القوى النفسانية والأهواء الشيطانية يقاتلونكم بذبكم عن دينكم ومقصدكم، ودعوتكم إلى دين الهوى والشيطان

{ حتى يردّوكم عن دينكم إن استطاعوا ومن يرتدِدْ منكم عن دينه } باتباعهم { فأولئك حَبطت أعمالهم } التي عملوها في الاستسلام والانقياد{ وأولئك أصحَابُ } نار الحجاب والتعذيب { هم فيها خالِدُون }.{ إن الذين آمَنوا } يقيناً { وهاجَرُوا } أوطان النفس ومألوفات الهوى { وجاهَدُوا في سبيلِ الله } وجنود الشيطان والنفس الأمّارة { أولئك يَرْجون رحمة الله } تجليات الصفات وأنوار المشاهدة. { يسئلونكَ عن } خمر الهوى وحبّ الدنيا وميسر احتيال النفس في جدب الحظ { قل فيهما إثْمٌ } الحجاب والبعد { ومنافعٌ للناس } في باب المعاش وتحصيل اللذّة النفسانية، والفرح بالذهول عن الهيئات الرديئة المشوّشة والهموم المكدّرة. { الم تَرَ إلى الذين خرجُوا من دِيَارهم } أي: أوطانهم المألوفة ومقارّ نفوسهم المعهودة ومقاماتهم ومراتبهم من الدنيا وما ركنوا إليها بدواعي الهوى، وهم قوم كثير { حذر الموت } الجهل والانقطاع عن الحياة الحقيقية والوقوع في المهاوي الطبيعية { فقال لهم الله مُوتوا } أي: أمرهم بالموت الإرادي، أو أماتهم عن ذواتهم بالتجلي الذاتي، حتى فنوا في الوحدة { ثم أحياهم } بالحياة الحقيقية العلمية، أو به بالوجود الموهوب الحقاني، والبقاء بعد الفناء. ولا يبعد أن يريد به ما أراد من قصة عزير، أي: خرجوا هاربين من الموت الطبيعي فأماتهم الله { ثم أحياهم } بتعلق أرواحهم بأبدان من جنس أبدانهم ليحصلوا بها كمالهم. { وقاتِلُوا في سبيلِ الله } النفس والشيطان على الأول والثاني. وعلى الثالث لا تخافوا من الموت في مقاتلة الأعداء، فإن الهرب منه لا ينفع كما لم ينفع أولئك. والله يحييكم كما أحياهم { قرضاً حسناً } هو بذل النفس بالجهاد، أو بذل المال بالإيثار { والله يقبض ويبسط } أي: هو مع معاملتكم في القبض والبسط، فإنكم بأوصافكم تستنزلون أوصافه. إن تبخلوا بما في أيديكم يضيّق عليكم ويقتر، وإن تجودوا يوسع عليكم بحسب جودكم كما ورد في الحديث: « تنزل المعونة على قدر المؤونة «.

{ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلْمَلإِ مِن بَنِي إِسْرَائِيلَ مِن بَعْدِ مُوسَى
إِذْ قَالُواْ لِنَبِيٍّ لَّهُمُ ٱبْعَثْ لَنَا مَلِكاً نُّقَاتِلْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ
قَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ إِن كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ أَلاَّ تُقَاتِلُواْ قَالُواْ وَمَا لَنَآ أَلاَّ نُقَاتِلَ
فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِن دِيَارِنَا وَأَبْنَآئِنَا فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقِتَالُ
تَوَلَّوْاْ إِلاَّ قَلِيلاً مِّنْهُمْ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ بِٱلظَّالِمِينَ }
{ وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكاً قَالُواْ أَنَّىٰ يَكُونُ
لَهُ ٱلْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِٱلْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِّنَ ٱلْمَالِ قَالَ
إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي ٱلْعِلْمِ وَٱلْجِسْمِ وَٱللَّهُ يُؤْتِي مُلْكَهُ
مَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ }{ وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ آيَةَ مُلْكِهِ أَن يَأْتِيَكُمُ
ٱلتَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِّمَّا تَرَكَ آلُ مُوسَىٰ وَآلُ هَارُونَ
تَحْمِلُهُ ٱلْمَلاۤئِكَةُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً لَّكُمْ إِن كُنْتُم مُّؤْمِنِينَ }

{ طَالُوت } كان رجلاً فقيراً، لا نسب له، ولا مال، فما قبلوه للمُلك.

لأن استحقاق المُلك والرياسة عند العامة إنما هو بالسعادة الخارجية التي هي المال والنسب، فنبّه نبيهم على أن الاستحقاق إنما يكون بالسعادتين الأخريين: الروحانية التي هي العلم. والبدنية: التي هي زيادة القوى وشدّة البنية والبسطة، بقوله: { وزاده بسطَة في العلم والجسم } والله أعلم بمن يستحق المُلك فيؤتيه

{ من يشاء والله واسعٌ } كثير العطاء، يؤتي المال كما يؤتي المُلك { عَليمٌ } بمن له الاستحقاق وما يحتاج إليه من المال الذي يعتضد به، فيعطيه. ثم بيّن أن استحقاق المُلك له علامة أخرى وهي: إذعان الخلق له، ووقوع هيبته ووقاره في القلوب، وسكون قلوبهم إليه، ومحبتهم له، وقبولهم لأمره على الطاعة والانقياد. وهو الذي كان يسميه الأعاجم من قدماء الفرس « خوره ». وما يختص بالملوك كيان خوره، ثم من بعدهم سموه « فر » فقالوا: كان فر للملك في أفريدون، وذهب عن كي كاؤوس فر الملك، فطلبوا من له الفر، فوجدوا للملك المبارك كيخسرو وسمّاه « التابوت « أي: ما يرجع إليه من الأمور. لأنّ التابوت فعلوت من التوب، أي: يأتيكم من جهته ما يرجع في ثبوت ملكه من الإذعان

والطاعة والانقياد والمحبة له بإلقاء الله له ذلك في قلوبكم، كما قال النبي صلى الله عليه وسلم: « نصرت بالرعب مسيرة شهر « أو ما يرجع إليه من الحالة النفسانية، والهيئة الشاهدة له على صحة ملكه { فيه سكينة من ربّكم }

أي: ما تسكن قلوبكم إليه { وبقية مما ترك آل موسى وآل هارون } في أولادهم من المعنى المسمّى « فر « وهو نور ملكوتيّ تستضيء به النفس باتصالها بالملكوت السماوية، واستفاضتها ذلك من عالم القدرة مستلزم لحصول علم السياسة وتدبير الملك والحكمة المزينة لها { تَحْمله الملائكة }

أي: ينزل إليكم بتوسط الملائكة السماوية. ويمكن أنه كان صندوقاً فيه طلسم من باب نصرة الجيش وغيره من الطلسمات التي تذكر أنها للملك على ما يرى من أنه كان فيه صورة لها رأس كرأس الآدمي والهرّ، وذنب كذنبه كالذي كان في عهد أفريدون المسمى « درفش كاويان «.

{ فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِٱلْجُنُودِ قَالَ إِنَّ ٱللَّهَ مُبْتَلِيكُمْ بِنَهَرٍ فَمَن شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي وَمَن لَّمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُ مِنِّي إِلاَّ مَنِ ٱغْتَرَفَ غُرْفَةً بِيَدِهِ فَشَرِبُواْ مِنْهُ إِلاَّ قَلِيلاً مِّنْهُمْ فَلَمَّا جَاوَزَهُ هُوَ وَٱلَّذِينَ آمَنُواْ مَعَهُ قَالُواْ لاَ طَاقَةَ لَنَا ٱلْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالَ ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلاَقُواْ ٱللَّهِ كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّابِرِينَ }

{ وَلَمَّا بَرَزُواْ لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالُواْ رَبَّنَآ أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْراً وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَٱنْصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَافِرِينَ }

{ فَهَزَمُوهُمْ بِإِذْنِ ٱللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُدُ جَالُوتَ وَآتَاهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ وَٱلْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُ مِمَّا يَشَآءُ وَلَوْلاَ دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ ٱلأَرْضُ وَلَـكِنَّ ٱللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلْعَالَمِينَ }

{ تِلْكَ آيَاتُ ٱللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِٱلْحَقِّ وَإِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ }

{ تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ مِّنْهُمْ مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ وَآتَيْنَا عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱلْبَيِّنَاتِ

وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقْتَتَلَ ٱلَّذِينَ مِن بَعْدِهِم مِّن بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَاتُ وَلَـٰكِنِ ٱخْتَلَفُواْ فَمِنْهُم مَّنْ آمَنَ وَمِنْهُم مَّن كَفَرَ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقْتَتَلُواْ وَلَـٰكِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ }

{ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ آمَنُوٓاْ أَنفِقُواْ مِمَّا رَزَقْنَٰكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لاَّ بَيْعٌ فِيهِ وَلاَ خُلَّةٌ وَلاَ شَفَٰعَةٌ وَٱلْكَٰفِرُونَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ }

{ إن الله مُبْتَليكم بنهرٍ } هو منهل الطبيعة الجسمانية

{ فمن شَرِب منه فليس مني } أي: من كرع فيه مفرطاً في الريّ منه.

لأنّ أهل الطبيعة وعبدة الشهوات أذلّ وأعجز خلق الله، لا قوّة لهم بقتال جالوت النفس الأمّارة، ولا بجالوت عدّو الدين، إذ لا حمية لهم ولا تشدّد { إلا من اغْتَرف غَرْفة بيده } أي: إلا من اقتنع منه بقدر الضرورة والاحتياج من غير حرص وانهماك فيه { فشَربُوا منه } أي: كرعوا فيه وانهمكوا { إلا قليلاً منهم } إذ المتنزهون عن الأقذار الطبيعية، المتقدّسون عن ملابسها، المتجرّدون عن غواشيها قليلون بالنسبة إلى من عداهم. قال الله تعالى:

{ وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ } [ص، الآية: ٢٤]،

{ وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ ٱلشَّكُورُ }[سبأ، الآية: ١٣]

وهم الذين آمنوا معه من أهل اليقين الذين كانوا يعلمون بنور يقينهم أن الغلبة ليست بالكثرة، بل بالنصرة الإلهية، فصبروا على ما عاينوا بقوّة يقينهم، فظفروا.

وقلّ من جدّ في أمر يطالبه واستصحب الصبر إلا فاز بالظفر

{ ٱللَّهُ لاَ إِلَـٰهَ إِلاَّ هُوَ ٱلْحَيُّ ٱلْقَيُّومُ لاَ تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلاَ نَوْمٌ لَّهُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلأَرْضِ مَن ذَا ٱلَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلاَّ بِإِذْنِهِ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلاَ يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلاَّ بِمَا شَآءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلأَرْضَ وَلاَ يَؤُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْعَظِيمُ }

{ الله لا إله إلا هو } في الوجود، فكلّ ما عبد دونه لم تقع العبادة إلا له، علِمَ أو لم يعلم، إذ لا معبود ولا موجود سواه { الحيّ } الذي حياته عين ذاته، وكلّ ما

هو حيّ لم يحيى إلا بحياته { القيوم } الذي يقوم بنفسه ويقوم كلّ ما يقوم به. فلولا قيامه ما قام شيء في الوجود { لا تَأْخُذه } غفوة ونعاس، كما يعتري الأحياء من غير قصدهم. فإنّ ذلك لا يكون إلا لمن حياته عارضة، فتغلبه الطبيعة بالحالة الذاتية طلباً للهدوء والراحة والإبدال عن تحليل اليقظة. فأمّا من حياته عين ذاته، فلا يمكن له ذلك. وبين كون حياته غير عارضة بقوله { ولا نَوْم } فإنّ النوم ينافي كون الحياة ذاتية، لأنه أشبه شيء بالموت. ولهذا قيل: النوم أخو الموت. ومن لا نوم له لذاته، لمنافاته كون الحياة غير ذاته، فلا سنة له، إذ السنة من مقدّماته وآثاره كما تقول: ليس له ضحك ولا تعجب، وقوله: { لا تأخذه سنة ولا نوم } بيان لقيوميته { له ما في السموات وما في الأرض } نواصيهم بيده، يفعل بهم ما يشاء. { من ذا الذي يشْفَع عنده إلاّ بإذْنِه } إذ كلهم له وبه يتكلم من يتكلم به وبكلامه، فكيف يتكلم بغير إذنه وإرادته { يَعْلَم } ما قبلهم وما بعدهم، فكيف بهم وبحالهم. أي: علمه شامل للأزمنة والأشخاص والأحوال كلها، فيعلم المستحق للشفاعة، وغير المستحق لها { ولا يُحِيطونَ بشيءٍ من عِلْمه إلاّ بما شَاء } أي: بما اقتضت مشيئته أن يعلمهم، فعلم كلّ ذي علم شيء من علمه ظهر على ذلك المظهر، كما قالت الملائكة:

{ لاَ عِلْمَ لَنَآ إِلاَّ مَا عَلَّمْتَنَا }[البقرة، الآية: ٣٢].

{ وسِع كُرسيه السموات والأرض } أي: علمه، إذ الكرسيّ مكان العلم الذي هو القلب. كما قال أبو يزيد البسطامي رحمة الله عليه: لو وقع العالم وما فيه ألف ألف مرّة في زاوية من زوايا قلب العارف ما أحسّ به لغاية سعته. ولهذا قال الحسن: كرسيه: عرشه، مأخوذ من قوله عليه السلام:

« قلب المؤمن من عرش الله « والكرسي في اللغة: عرش صغير لا يفضل عن مقعد القاعد، شُبه القلب به تصويراً وتخييلاً لعظمته وسعته.

وأما العرش المجيد الأكبر فهو الروح الأول وصورتهما ومثالهما في الشاهد الفلك الأعظم، والثامن المحيط بالسموات السبع وما فيهنّ { ولا يؤده } أي: ولا يثقله { حِفظهما } لأنهما غير موجودين بدونه ليثقله حملهما، بل العالم المعنوي كله باطنه والصوريّ ظاهره، فلا وجود لهما إلا به وليسا غيره. { وهو العليّ } الشأن الذي لا يعلوه شيء وهو يعلو كل شيء، ويقهره بالفناء { العَظيم } الذي لا يتصوّر

كنه عظمته، وكل عظمة تتصور لشيء فهي رشحة من عظمته، وكل عظيم فبنصيب من عظمته وحصة منها عظيمة. فالعظمة مطلقاً له دون غيره، بل كلها له، ليس لغيره فيها نصيب. وهي أعظم آية في القرآن لعظم مدلولها.

{ لاَ إِكْرَاهَ فِي ٱلدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشْدُ مِنَ ٱلْغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِٱلطَّاغُوتِ وَيُؤْمِن بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ لاَ ٱنفِصَامَ لَهَا وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ }

{ ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ آمَنُواْ يُخْرِجُهُمْ مِّنَ ٱلظُّلُمَاتِ إِلَى ٱلنُّورِ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ أَوْلِيَآؤُهُمُ ٱلطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُمْ مِّنَ ٱلنُّورِ إِلَى ٱلظُّلُمَاتِ أُوْلَـٰئِكَ أَصْحَابُ ٱلنَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ }

{ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِي حَآجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ ٱلَّذِي يُحْيِـي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِـي وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأْتِي بِٱلشَّمْسِ مِنَ ٱلْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ ٱلْمَغْرِبِ فَبُهِتَ ٱلَّذِي كَفَرَ وَٱللَّهُ لاَ يَهْدِي ٱلْقَوْمَ ٱلظَّالِمِينَ }

{ لا إكْرَاه في الدين } لأن الدين في الحقيقة هو الهدى المستفاد من النور القلبي، اللازم للفطرة الإنسانية، المستلزم للإيمان اليقيني. كما قال تعالى:

{ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفاً فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا لاَ تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ذَلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّم } [الروم، الآية: ٣٠]،

والإسلام الذي هو ظاهر الدين مبتن عليه وهو أمر لا مدخل للإكراه فيه. والدليل على أنّ باطن الدين وحقيقته الإيمان كما أن ظاهره وصورته الإسلام ما بعده { قد تبين } أي تميز { الرشد من الغيّ } بالدلائل الواضحة لمن له بصيرة وعقل، كما قيل: قد أضاء الصبح لذي عينين.{ فمن يَكْفر بالطاغوت }

أي: ما سوى الله وينفي وجوده وتأثيره { ويؤمِن بالله } إيماناً شهودياً حقيقياً { فقد اسْتَمْسك بالعُرْوَة الوثقى } أي: تمسك بالوحدة الذاتية التي وثوقها واحكامها بنفسها، فلا شيء أوثق منها، إذ كلّ وثيق بها موثوق، بل كل وجود بها موجود وبنفسه معدوم، فإذا اعتبر وجوده فله انفصام في نفسه لأن الممكن وثاقته ووجوده بالواجب، فإذا قطع النظر عنه فقد انقطع وجود ذلك الممكن

ولم يكن في نفسه شيئاً. ولا يمكن انفصامه عن وجود عين ذاته، إذ ليس فيه تجزؤ وإثنينية، وفي الانفصام لطيفة وهو أنه انكسار بلا انفصال. ولما لم ينفصل شيء من الممكنات من ذاته تعالى، ولم يخرج منه، لأنه إما فعله وإما صفته، فلا انفصال قطعاً، بل إذا اعتبره العقل بانفراده كان منفصماً،أي: منقطع الوجود متعلقاً وجوده بوجوده تعالى { والله سَمِيع } يسمع قول كل ذوي دين { عليمٌ } بنياتهم وإيمانهم. { الله وليّ الذين آمنوا } متولي أمورهم ومحبتهم { يُخْرجهم } من ظلمات صفات النفس وشبه الخيال والوهم، إلى نور اليقين والهدى وفضاء عالم الروح { والذين كَفرُوا أولياؤهم } ما يعبدون من دون الله { يخرجونهم } من نور الاستعداد والهداية الفطرية إلى ظلمات صفات النفس والشكوك والشبهات.

{ أَوْ كَٱلَّذِي مَرَّ عَلَىٰ قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّىٰ يُحْيِـي هَـٰذِهِ ٱللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا فَأَمَاتَهُ ٱللَّهُ مِئَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ قَالَ لَبِثْتُ يَوْماً أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالَ بَل لَّبِثْتَ مِئَةَ عَامٍ فَٱنْظُرْ إِلَىٰ طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ وَٱنْظُرْ إِلَىٰ حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِلنَّاسِ وَٱنْظُرْ إِلَى ٱلعِظَامِ كَيْفَ نُنْشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْماً فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ }

{ أو كالذي مرّ على قرية } أي: أرأيت مثل الذي مرّ على قرية باد أهلها، وسقطت سقوفها، وخرّت جدرانها عليها، فتعجب من إحيائها لكونه طالباً سالكاً لم يصل إلى مقام اليقين بعد، ولم يستعد لقبول نور تجلّي اسم المحيي - والمشهور أنه كان عُزَيْر - { فأَمَاتَه الله } أي: فأبقاه على موت الجهل. كما قال:

{ أَمَتَّنَا ٱثْنَتَيْنِ }[غافر، الآية: ١١] على قول، وقال تعالى:

{ وَكُنْتُمْ أَمْوَاتاً فَأَحْيَاكُمْ } [البقرة، الآية: ٢٨].

{ مائةَ عَام } يمكن أن يكون العام في عهدهم كان مبنياً على دور القمر، فيكون ثمانية أعوام وأربعة أشهر، وأن يكون مبنياً على فصول السنة فيكون خمسة وعشرين سنة، وأن تكون أعمارهم في ذلك الزمان كانت طويلة { ثم بَعَثه } بالحياة الحقيقية وطلب منه الوقوف على مدّة اللبث فما ظنها إلا يوماً أو بعض

يـوم، اسـتصغارًا لمـدة اللبـث في مـوت الجهـل المنقضيـة بالنسـبة إلى الحيـاة الأبديـة ولعـدم شـعوره بمـرور المـدة كالنائـم الغافـل عـن الزمـان ومـروره.

ثـم لمـا تفكّـر نبّهـه اللـه تعـالى عـلى طـول مـدة الجهـل ومـوت الغفلـة، بأنـه مائـة عـام، أو أماتـه بالمـوت الإراديّ في إحـدى المـدد المذكـورة، فتكـون المـدة زمـان رياضتـه وسـلوكه ومجاهدتـه في سـبيل اللـه، أو أماتـه حتـف أنفـه بالمـوت الطبيعـي فتعلـق روحـه ببـدن آخـر مـن جنسـه لاكتسـاب الكـمال إمـا بعـد زمـان وإمـا في الحـال حتـى مـرّ عليـه إحـدى المـدد الثـلاث المذكـورة، وهـو لا يطلـع عـلى حالـه فيهـا، ولم يشـعر بمبدئـه ومعـاده وكان ميتـاً ثـمّ بالحيـاة الحقيقيـة فاطلـع بنـور العلـم عـلى حالـه وعـرف مبـدأه ومعـاده.

وقوله: { لبثْت يوماً أو بَعض يَوم } كقوله تعالى:

{ وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ كَأَن لَّمْ يَلْبَثُواْ إِلاَّ سَاعَةً مِّنَ ٱلنَّهَار }

[يونس، الآية: ٤٥]، وقوله تعالى:

{ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبَثُواْ إِلاَّ عَشِيَّةً أَوْ ضُحَاهَا }

[النازعات، الآية: ٤٦]، وقوله:

{ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يُقْسِمُ ٱلْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُواْ غَيْرَ سَاعَة }

[الـروم، الآيـة: ٥٥] كل ذلـك لغفلتهـم عـن مـرور الزمـان وكـذا مفـارق أخـاً أو مصاحبـاً أو شـيئاً آخـر إذا أدرك الوصـال بعـد طـول مـدة الفـراق كأن تلـك المـدة حينئـذ لم تكـن، إذ لا يحـس بهـا بعـد مضيهـا وإن قاسـاها قبـل الوصـال { وانظـر إلى طَعَامـك وشَرَابـك لم يَتَسـنه } قيـل: طعامـه التـين والعنـب، وشرابـه الخمـر واللـبن. فالتـين إشـارة إلى المـدركات الكليـة لكونـه لبـاً كلـه، وكـون الجزئيـات فيهـا بالقـوة، كالحبـات التـي في التـين، والعنـب إشـارة إلى الجزئيـات لبقـاء اللواحـق الماديّـة معهـا في الإدراك كالثجـير والعجـم. واللـبن إشـارة إلى العلـم النافـع كالشرائـع. والخمـر إشـارة إلى العشـق والإرادة وعلـوم المعـارف والحقائـق. لم يتسـنه أي: لم يتغـير عـما كان في الأزل بحسـب الفطـرة مودعـاً فيـك، فـإن العلـوم مخزونـة في كل نفـس بحسـب اسـتعدادها، كـما قـال عليـه السـلام: « النـاس معـادن كمعـادن الذهـب والفضـة «

{ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِـي ٱلْمَوْتَىٰ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن قَالَ بَلَىٰ وَلَـٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ ٱلطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ ٱجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ٱدْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْياً وَٱعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ }

{ وإذ قَـال إبرَاهيـم رب أرِني كيـفَ تُحْيـي المَـوْتى } أي: بلغنـي إلى مقـام العيـان مـن مقـام العلـم الإيقـاني. ولهـذا قـرر إيمانـه بهمـزة الاسـتفهام التقريريـة.

فـ{ قـال أوَ لَـمْ تُؤْمِـن } أي: أو لم تعلـم ذلـك يقينـاً؟، وأجـاب إبراهيم عليه السـلام بقوله: { بَـلى ولكـن ليطمـئن قلبـي } أي: ليسـكن وتحصـل طمأنينتـه بالمعاينـة، فـإنّ عـين اليقـين إنمـا يوجـب الطمأنينـة لا علمـه { قـال فَخُـذ أربعَـة مـنَ الطـيْر } أي: القـوى الأربعـة التـي تمنعـه عـن مقـام العيـان وشـهود الحيـاة الحقيقيـة. وقيـل: كانـت طاووسـاً وديـكاً وغرابـاً وحمامـة. وفي روايـة بطّـة، فالطـاووس هـو العجـب، والديـك الشـهوة، والغـراب الحـرص، والحمامـة حـبّ الدنيـا لتألفهـا وكرهـا وبرجهـا. والظاهـر أنهـا بطـة فتكـون إشـارة إلى الغالـب عليهـا { فصرهـنّ إليـكَ } أي: أملهـنّ واضممهـنّ إليـك بضبطهـا ومنعهـا عـن الخـروج إلى طلـب لذاتهـا والنـزوع إلى مألوفاتهـا. وقيـل: أمـر بـأن يذبحهـا وينتـف ريشـها ويخلـط لحومهـا ودماءهـا بالـدق ويحفـظ رؤوسـها عنـده، أي: يمنعهـا عن أفعالهـا ويزيل هيئاتهـا عـن النفـس، ويقمـع دواعيهـا وطبائعهـا وعاداتهـا بالرياضـة، ويبقي أصولهـا فيه. { ثـم اجْعَـل عـلى كلّ جَبَـل منهـنّ جـزءاً } أي: مـن الجبـال التـي بحضرتـك، وهـي العنـاصر الأربعـة التـي هـي أركان بدنـه، أي: اقمعهـا وأمتهـا حتـى لا يبقـى إلا أصولهـا المركـوزة في وجـودك وموادّهـا المعـدّة في طبائـع العنـاصر التـي فيـك. كانـت الجبـال سـبعة، فعـلى هذا يشـير بهـا إلى الأعضـاء السـبعة التـي هـي أجـزاء البـدن { ثـم ادْعهـنّ } أي: أنهـا إذا أنـت حييـت بحياتهـا كانـت غـير طيعـة مسـتولية عليك، وحشـية ممتنعـة عن قبـول أمـرك، فإذا قتلتهـا كنـت حيـاً بالحيـاة الحقيقيـة الموهوبة بعد الفنـاء والمحـو. فتصير هي حيّـة بحياتك لا بحياتهـا، حيـاة النفـس مطيعـة لك منقـادة لأمرك فـإذا دعوتهـا { يأتينـك سَـعْياً } { واعْلَم أن اللـه عزِيـزٌ } غالـب عـلى قهـر النفـوس { حكيـمٌ } لا يقهرهـا إلا بحكمـة. ويمكـن حمله عـلى حـشر الوحـوش والطيـور، وعـلى هـذا فيكـون جعـل أجزائهـا عـلى الجبـال تغذيـة الجسـم بهـا ودعـاؤه وإتيانـه إليـه سـاعية توجههـا إلى الإنسـان بعـد النشـور.

{ مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنبُلَةٍ مِّئَةُ حَبَّةٍ وَٱللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ }
{ ٱلَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ثُمَّ لاَ يُتْبِعُونَ مَآ أَنْفَقُواْ مَنّاً وَلاَ أَذًى لَّهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ }

{ مثل الذين يُنْفِقون أموَالهم في سَبِيل الله } ذكر سبحانه ثلاث إنفاقات وفاضل بينها في الجزاء، أولها: الإنفاق في سبيل الله وهو إنفاق في عالم الملك عن تجلي الأفعال يعطيه صاحبه ليثيبه الله تعالى، فأثابه سبعمائة أضعاف ما أعطى ثم زاد في الأضعاف إلى ما لا يتناهى بحسب المشيئة لأنّ يده تعالى أبسط وأطول من يده بما لا يتناهى. { والله واسعٌ } كثير العطاء، لا يتقدّر بأعطيتنا عطاؤه { عليمٌ } بنيّات المعطين واعتقاداتهم أنه من فضل الله تعالى، فيثيبهم على حسب ذلك.

وثانيها: الإنفاق عن مقام مشاهدة الصفات على ما سيأتي، وهو الإنفاق لطلب رضاء الله كما أن الأولى هو الإنفاق لطلب عطاء الله. وثالثها: الإنفاق بالله، وهو عن مقام شهود الذات { ثم لا يتبعون ما أنفقوا مناً ولا أذى } نبّه على أن الإنفاق يبطله المنّ والأذى، لأن الإنفاق إنما يكون محموداً لثلاثة أوجه: كونه موافقاً للأمر بالنسبة إلى الله تعالى، وكونه مزيلاً لرذيلة البخل بالنسبة إلى نفس المنفق، وكونه نافعاً مريحاً بالنسبة إلى المستحق. فإذا منّ صاحبه فقد خالف أمر الله لأنه منهيّ وظهرت نفسه بالاستطالة والاعتداد بالنعمة والعجب والاحتجاب بفعلها ورؤية النعمة منها لا من الله، وكلها رذائل أردأ من البخل، لازمة له، ولو لم يكن له إلا رؤية نفسه بالفضيلة لكفاه مبطلاً. وأما الوجه الثالث الذي هو بالنسبة إلى المستحق، فيبطله الأذى المنافي للراحة والنفع والمن أيضاً مبطل له لاقتضائه الترفع وإظهار الاصطناع وإثبات حق عليه.

{ قَوْلٌ مَّعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِّن صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَآ أَذًى وَٱللَّهُ غَنِيٌّ حَلِيمٌ }
{ يٰأَيُّهَا ٱلَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تُبْطِلُواْ صَدَقَٰتِكُم بِٱلْمَنِّ وَٱلأَذَىٰ كَٱلَّذِي يُنْفِقُ مَالَهُ رِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَلاَ يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلآخِرِ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُ وَابِلٌ فَتَرَكَهُ صَلْداً لاَّ يَقْدِرُونَ عَلَىٰ شَيْءٍ مِّمَّا كَسَبُواْ وَٱللَّهُ لاَ يَهْدِي ٱلْقَوْمَ ٱلْكَافِرِينَ }

{ وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوٰلَهُمُ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ وَتَثْبِيتاً مِّنْ أَنفُسِهِمْ كَمَثَلِ جَنَّةٍ بِرَبْوَةٍ أَصَابَهَا وَابِلٌ فَآتَتْ أُكُلَهَا ضِعْفَيْنِ فَإِن لَّمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطَلٌّ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ }

ثم قال: { قول مَعْروف ومَغْفرة خيرٌ من صدَقَة يَتْبعها أَذَىً } إذ القول الجميل، وإن كان بالردّ، يفرح قلبه، ويروّح روحه، والصدقة إنما تنفع جسده ولا تفرّح القلب إلا بالتبعية وتصوّر النفع، فإذا قارن ما ينفع الجسد ما يؤذي الروح تكدّر النفع وتنغص، ولم يقع في مقابلة الفرح الحاصل من القول الجميل،ولو لم يكن مع التنغيص أيضاً لأن الروحانيات أشرف وأحسن وأوقع في النفوس { والله غنيّ } عن الصدقة المقرونة بالأذى، فيعطي المستحق من خزائن غيبه { حليم } لا يعاجل بالعقوبة.

{ مثل الذين يُنْفِقون أموَالهم ابْتِغاء مرضاة الله } هذا هو القسم الثاني من الإنفاق. فضّله على الأول بتشبيهه بالجنة، فإن الجنة مع إيتاء أكلها تبقى بحالها بخلاف الحبة، فأشار بها أنه ملك لهم كأنه صفة ذاتية ولهذا قال: { وتثبيتاً من أنفسهم } أي: توطيناً لها على الجود الذي هو صفة ربانية، وقوله:{ بِرَبْوَةٍ } إشارة إلى ارتفاع رتبة هذا الإنفاق وارتقائه عن درجة الأول { أصابها وابل } اي: حظ كثير من صفة الرحمة الرحمانية ومدد وافر من فيض جوده لأنها ملكة الاتصال بالله تعالى بمناسبة الوصف واستعداد قبوله والاتصاف به { فإن لم يصبها وابل } أي: حظ كثير، فحظ قليل { والله بما تعملون بصير } بأعمالكم يرى أنها من أيّ القبيل.

{ أَيَوَدُّ أَحَدُكُمْ أَن تَكُونَ لَهُ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلأَنْهَارُ لَهُ فِيهَا مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَاتِ وَأَصَابَهُ ٱلْكِبَرُ وَلَهُ ذُرِّيَّةٌ ضُعَفَآءُ فَأَصَابَهَآ إِعْصَارٌ فِيهِ نَارٌ فَٱحْتَرَقَتْ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلأيٰتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ }

{ يٰأَيُّهَا ٱلَّذِينَ آمَنُواْ أَنْفِقُواْ مِن طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّآ أَخْرَجْنَا لَكُم مِّنَ ٱلأَرْضِ وَلاَ تَيَمَّمُواْ ٱلْخَبِيثَ مِنْهُ تُنْفِقُونَ وَلَسْتُمْ بِآخِذِيهِ إِلاَّ أَن تُغْمِضُواْ فِيهِ وَٱعْلَمُواْ أَنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ }

{ ٱلشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ ٱلْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِٱلْفَحْشَآءِ وَٱللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِّنْهُ وَفَضْلاً وَٱللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ }

{ أيودّ أحدكم } تمثيل لحال من عمل صالحاً إنفاقاً كان أو غيره متقرّباً به إلى الله مبتغياً رضاه، كما في هذا القسم من الإنفاق، ثم ظهرت نفسه فيه، وتحرّكت، فكانت حركاتها المتخالفة بحركة الروح ودواعيها المتفاوتة المضادّة لداعية القلب إعصاراً، فافترض الشيطان حركتها واتخذها مجالاً له بالوسوسة، فنفث فيها رؤية عملها أو رياء فكان ذلك النفث ناراً أحرقت عملها أحوج ما يكون إليه، كما قال أمير المؤمنين عليّ عليه السلام: { اللهم اغفر لي ما تقرّبت به إليك ثم خالفه قلبي { أَنْفِقُوا من طيبات ما كَسَبْتم } أمر بالقسم الثالث من الإنفاق من طيبات ما كسبتم، إذ المختار بالله يختار الأشرف من كل شيء للمناسبة كما قال أمير المؤمنين عليّ عليه السلام: « إن الله جميل يحبّ الجمال « ومن كان في إنفاقه بالنفس لا يقدر على إنفاق الأشرف لضنّ النفس ومحبتها إياه، واستئثارها به عن تخصيصه بالله، فما كان بالنفس ليس ببر أصلاً لقوله تعالى:

{ لَن تَنَالُواْ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنْفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّون }[آل عمران، الآية: ٩٢]،

{ ولا تَيَمموا الخَبيث منه تنفقون } تخصونه بالإنفاق كعادة المنفقين بالنفس والطبيعة { ولستم بآخذيه إلا أن تغمضوا فيه } لمحبتكم الأطيب من المال لأنفسكم لاختصاص محبتكم بالذات إياها، ولهذا لا تؤثرون الله بالمال عليها فتنفقوا أطيبه له { واعلموا أن الله غنيّ } فاتصفوا بغناه فتستفيضوا به عن المال ومحبته { حميدٌ } لا يفعل إلا الفعل المحمود، فاقتدوا به.

{ الشيطان يَعدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء } أي: الخصلة القبيحة التي هي البخل، فتعوّذوا منه بالله، فإنه { يعدكم مغفرة منه } أي: ستراً لصفات نفوسكم بنوره { وفضلاً } وموهبة من مواهب صفاته لكم وتجلياتها كالغنى المطلق فلا يبقى فيكم خوف الفقر { والله واسع } يسع ذواتكم وصفاتكم وعطاؤكم لا يضيق وعاء جوده بالعطاء ولا ينفد عطاياه { عليمٌ } بمواقع تجلياته واستعدادها واستحقاقها.

{ يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَن يَشَآءُ وَمَن يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْراً كَثِيراً وَمَا يَذَّكَّرُ إِلاَّ أُوْلُواْ ٱلأَلْبَابِ }

{ وَمَآ أَنفَقْتُمْ مِّن نَّفَقَةٍ أَوْ نَذَرْتُمْ مِّن نَّذْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُهُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ }

{ إِن تُبْدُواْ ٱلصَّدَقَاتِ فَنِعِمَّا هِيَ وَإِن تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا ٱلْفُقَرَآءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَيُكَفِّرُ عَنكُم مِّن سَيِّئَاتِكُمْ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ }

{ لَّيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ وَلَـٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَآءُ وَمَا تُنْفِقُواْ مِنْ خَيْرٍ فَلأَنْفُسِكُمْ وَمَا تُنْفِقُونَ إِلاَّ ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ ٱللَّهِ وَمَا تُنْفِقُواْ مِنْ خَيْرٍ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لاَ تُظْلَمُونَ }

{ يؤتي الحكمة من يشاء } لإخلاصه في الإنفاق وكونه فيه بالله، فيعطيه حكمة الإنفاق لينفق من الحكمة الإلهية لكونه متصفاً بصفاته { ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيراً كثيراً } لأنها أخصّ صفات الله { وما يَذكر } أنّ الحكمة أشرف الأشياء وأخصّ الصفات { إلا اولو الألبَاب } الذين نوّر الله عقولهم بنور الهداية فصفاها عن شوائب الوهم وقشور الرسوم والعادات وهو النفس. فجزاء الإنفاق الأول هو الإضعاف، وجزاء الثاني هو الجنّة الصفاتية المثمرة للإضعاف، وجزاء الثالث هو الحكمة اللازمة للوجود والموهوب. فانظر كم بينها من التفاوت.

{ وما أنفقتم من نفقة أو نَذرتم من نذر فإنّ الله يعلمه } من أيّ القبول هو، فيجازيكم بحسبه { وما للظالمين } أي: المنفقين رئاء الناس، الواضعين الإنفاق في غير موضعه، أو الناقصين حقوقهم برؤية إنفاقهم أو ضم المنّ والأذى إليه أو بالإنفاق من الخبيث { من أنصَار } يحفظوا لهم من بأس الله { فهُو خَير لكُم } لبعدها عن الرياء وكونها أقرب إلى الإخلاص { ليسَ عليكَ هُدَاهم } إلى الإنفاقات الثلاثة المذكورة المبرّأة عن المنّ والأذى والرياء ورؤية الإنفاق وكونه من الخبيث أي: لا يجب عليك أن تجعلهم مهديين إنما عليك تبليغ الهداية { ولكنّ الله يهْدِي من يَشَاء وما تنْفِقوا من خير فلأنفسكم } فلم تمنون به على الناس وتؤذونهم { وما تنفقون إلا ابتغاء وجه الله } فما لكم تستطيلون به على الناس؟

وكيف تراؤون فيه؟ { وما تنفقوا من خير يوف إليكم } ليس لغيركم فيه نصيب، فلا تنفقوا إلا على أنفسكم في الحقيقة، لا على غيركم فلا ينقص به شيء منكم، فما لكم تقصدون الخبيث بالإنفاق منه فثلاثتها مصروفة إلى الأقسام الثلاثة المذكورة من الإنفاق للتحذير عن آفاتها بتصوير غاياتها.

{ لِلْفُقَرَآءِ ٱلَّذِينَ أُحصِرُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ لاَ يَسْتَطِيعُونَ ضَرْباً فِي ٱلأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ ٱلْجَاهِلُ أَغْنِيَآءَ مِنَ ٱلتَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُم بِسِيمَاهُمْ لاَ يَسْأَلُونَ ٱلنَّاسَ إِلْحَافاً وَمَا تُنفِقُواْ مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ }

{ ٱلَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ بِٱللَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ سِرّاً وَعَلاَنِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ }

{ ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ ٱلرِّبَٰواْ لاَ يَقُومُونَ إِلاَّ كَمَا يَقُومُ ٱلَّذِي يَتَخَبَّطُهُ ٱلشَّيْطَانُ مِنَ ٱلْمَسِّ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُواْ إِنَّمَا ٱلْبَيْعُ مِثْلُ ٱلرِّبَٰواْ وَأَحَلَّ ٱللَّهُ ٱلْبَيْعَ وَحَرَّمَ ٱلرِّبَٰواْ فَمَن جَآءَهُ مَوْعِظَةٌ مِّنْ رَّبِّهِ فَٱنْتَهَىٰ فَلَهُ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُ إِلَى ٱللَّهِ وَمَنْ عَادَ فَأُوْلَـٰئِكَ أَصْحَابُ ٱلنَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ }

{ للفقراء } أي: اقصدوا بصدقاتكم الفقراء { الذين } أحصرهم المجاهدة {في سبيل الله } { لا يستطيعون ضرباً في الأرض } للتجارة والكسب لاشتغالهم بالله واستغراقهم في الأحوال وصرف أوقاتهم في العبادات. { يحسبهم الجاهل أغنياء من التعفف } عن السؤال والاستغناء عن الناس { تعرفهم بسيماهم } من صفرة وجوههم، ونور جباههم، وهيئة سحناتهم، أنهم عرفاء فقراء، أهل الله، لا يعرفهم إلا الله ومن هو منهم { لا يسألون الناس إلحَافاً } أي: إلحاحاً. والمراد نفي مسئلة الناس بالكلية كقوله: **على لاحِبٍ لا يُهْتدى بمناره**

والمراد نفي المنار والاهتداء جميعاً، أو نفي الإلحاف وإثبات التعطف في المسألة.

{ وما تنفقوا من خيرٍ } على أيّ من أنفقتم، غنياً كان أو فقيراً

{ فإنّ الله به عليم } أي: بأن ذلك الإنفاق له أو لغيره، فيجازي بحسبه.

{ الذينَ يُنفقونَ } عمم الإنفاق أولاً وثانياً بحسب الأوقات والأحوال ليعلم أنه لا يتفاوت بها، بل بالقصد والنيّة { الذين يأكلون الربا لا يقومون } إلى آخره، آكل الربا أسوأ حالاً من جميع مرتكبي الكبائر، فإنّ كل مكتسب له توكل ما في كسبه قليلاً كان أو كثيراً، كالتاجر والزارع والمحترف، إذ لم يعينوا أرزاقهم بعقولهم ولم تتعين لهم قبل الاكتساب فهم على غير معلوم في الحقيقة، كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: « أبى الله أن يرزق المؤمن إلا من حيث لا يعلم

« وأما آكل الربا فقد عين على آخذه مكسبه ورزقه سواء ربح الآخذ أو خسر، فهو محجوب عن ربه بنفسه وعن رزقه بتعيينه، لا توكل له أصلاً، فوكلّه الله تعالى إلى نفسه وعقله، وأخرجه من حفظه وكلاءته، فاختطفه الجنّ وخبلته، فيقوم يوم القيامة ولا رابطة بينه وبين الله كسائر الناس المرتبطين به بالتوكل، فيكون كالمصروع الذي مسّه الشيطان فتخبطه لا يهتدي إلى مقصد

{ ذلك بأنَهُم قالوا } أي: ذلك بسبب احتجابهم بقياسهم وأول من قاس إبليس فيكونون من أصحابه مطرودين مثله.

{ يَمْحَقُ ٱللَّهُ ٱلرِّبَٰوٰاْ وَيُرْبِي ٱلصَّدَقَٰتِ وَٱللَّهُ لاَ يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ }

{ إِنَّ ٱلَّذِينَ آمَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَآتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ }

{ يٰأَيُّهَا ٱلَّذِينَ آمَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَذَرُواْ مَا بَقِيَ مِنَ ٱلرِّبَوٰاْ إِن كُنْتُمْ مُّؤْمِنِينَ }

{ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُواْ فَأْذَنُواْ بِحَرْبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِنْ تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُؤُوسُ أَمْوَٰلِكُمْ لاَ تَظْلِمُونَ وَلاَ تُظْلَمُونَ } { وَإِن كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ وَأَن تَصَدَّقُواْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ }

{ وَٱتَّقُواْ يَوْماً تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لاَ يُظْلَمُونَ }{ يٰأَيُّهَا ٱلَّذِينَ آمَنُواْ إِذَا تَدَايَنتُم بِدَيْنٍ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَٱكْتُبُوهُ وَلْيَكْتُب بَّيْنَكُمْ كَاتِبٌ بِٱلْعَدْلِ وَلاَ يَأْبَ كَاتِبٌ أَنْ يَكْتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ ٱللَّهُ فَلْيَكْتُبْ وَلْيُمْلِلِ ٱلَّذِي عَلَيْهِ ٱلْحَقُّ وَلْيَتَّقِ ٱللَّهَ رَبَّهُ وَلاَ يَبْخَسْمِنْهُ شَيْئاً فَإِن كَانَ ٱلَّذِي عَلَيْهِ ٱلْحَقُّ سَفِيهاً أَوْ ضَعِيفاً أَوْ لاَ يَسْتَطِيعُ أَن يُمِلَّ هُوَ فَلْيُمْلِلْ وَلِيُّهُ بِٱلْعَدْلِ وَٱسْتَشْهِدُواْ شَهِيدَيْنِ مِّن رِّجَالِكُمْ فَإِن لَّمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَٱمْرَأَتَانِ مِمَّن تَرْضَوْنَ مِنَ ٱلشُّهَدَآءِ أَن تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَاهُمَا ٱلأُخْرَىٰ وَلاَ يَأْبَ ٱلشُّهَدَآءُ إِذَا مَا دُعُواْ وَلاَ تَسْأَمُواْ أَن تَكْتُبُوهُ صَغِيراً أَو كَبِيراً إِلَىٰ أَجَلِهِ ذَٰلِكُمْ أَقْسَطُ

عِندَ ٱللَّهِ وَأَقْومُ لِلشَّهَٰدَةِ وَأَدْنَىٰٓ أَلَّا تَرْتَابُوٓاْ إِلَّآ أَن تَكُونَ تِجَٰرَةً حَاضِرَةً تُدِيرُونَهَا بَيْنَكُمْ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَلَّا تَكْتُبُوهَا وَأَشْهِدُوٓاْ إِذَا تَبَايَعْتُمْ وَلَا يُضَآرَّ كَاتِبٌ وَلَا شَهِيدٌ وَإِن تَفْعَلُواْ فَإِنَّهُۥ فُسُوقٌۢ بِكُمْ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ }

{ وَإِن كُنتُمْ عَلَىٰ سَفَرٍ وَلَمْ تَجِدُواْ كَاتِباً فَرِهَٰنٌ مَّقْبُوضَةٌ فَإِنْ أَمِنَ بَعْضُكُم بَعْضاً فَلْيُؤَدِّ ٱلَّذِي ٱؤْتُمِنَ أَمَانَتَهُۥ وَلْيَتَّقِ ٱللَّهَ رَبَّهُۥ وَلَا تَكْتُمُواْ ٱلشَّهَٰدَةَ وَمَن يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُۥٓ آثِمٌ قَلْبُهُۥ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ }

{ يَمْحَق الله الربا } وإن كان زيادة في الظاهر { ويربي الصدقات } وإن كان نقصاناً في الشاهد، لأنّ الزيادة والنقصان إنما يكونان باعتبار العاقبة والنفع في الدارين. والمال الحاصل من الربا لا بركة له، لأنه حصل من مخالفة الحق فتكون عاقبته وخيمة وصاحبه يرتكب سائر المعاصي إذ كلّ طعام يولد في أكله دواعي وأفعالاً من جنسه، فإن كان حراماً يدعوه إلى أفعال محرمة، وإن كان مكروهاً فإلى أفعال مكروهة، وإن كان مباحاً فإلى مباحة، وإن كان من طعام الفضل فإلى مندوبات، وكان في أفعاله متبرّعاً متفضلاً، وإن كان بقدر الواجب من الحقوق فأفعاله تكون واجبة ضرورية، وإن كان من الفضول والحظوظ فأفعاله تكون كذلك، فعليه إثم الربا وآثار أفعاله المحرّمة المتولدة من أكله على ما ورد في الحديث:

« الذنب بعد الذنب عقوبة للذنب الأول « ، فتزداد عقوباته وآثامه أبداً، ويتلف الله ماله في الدنيا فلا ينتفع به أعقابه وأولاده فيكون ممن خسر الدنيا والآخرة، وذلك هو المحق الكليّ. وأما المتصدّق، فلكون ماله مزكّى، يبارك الله في تثميره مع حفظ الأصل وآكله لا يكون إلا مطيعاً في أفعاله، ويبقى ماله في أعقابه وأولاده منتفعاً به وذلك هو الزيادة في الحقيقة، ولو لم تكن زيادته إلا ما صرف في طاعة الله لكفى به زيادة، وأيّ زيادة أفضل مما تبقّى عند الله، ولو لم يكن نقصان الربا إلا حصوله من مخالفة الله وارتكاب نهيه لكفى به نقصاً، وأيّ نقصان أفحش مما يكون سبب حجاب صاحبه وعذابه ونقصان حظه عند الله. { والله لا يحب كل كفّار أثيم } أي: آكل الربا كفار أثيم بفعله والله لا يحبّ من كان كذلك.

{ ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِ وَٱلْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لاَ نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ وَقَالُواْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ }

{ لاَ يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْساً إِلاَّ وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا ٱكْتَسَبَتْ رَبَّنَا لاَ تُؤَاخِذْنَا إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلاَ تَحْمِلْ عَلَيْنَآ إِصْراً كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلاَ تُحَمِّلْنَا مَا لاَ طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَٱعْفُ عَنَّا وَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَآ أَنتَ مَوْلَـٰنَا فَٱنْصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَافِرِينَ }

{ آمَنَ الرسول بما أُنزِل إليه من ربه } صدقه بقبوله والتخلق به، كما قالت عائشة: « كان خلقه القرآن والترقي بمعانيه والتحقق

«. { والمؤمنون كل آمن بالله } وحده جميعاً { وملائكته وكتبه ورسله } أي: وحده تفصيلاً عند الاستقامة مشاهداً لوحدته في صورة تلك الكثرة معطياً لكل تجلّ من تجلياته في مظهر من مظاهره وحكمه { لا نفرّق } أي: يقولون: لا نفرّق بينهم بردّ بعض وقبول بعض، ولا نشك في كونهم على الحق وبالحق لشهود التوحيد ومشاهدة الحق فيهم بالحق { وقالوا سمعنا } أي: أجبنا ربّنا في كتبه ورسله ونزول ملائكته واستقمنا في سيرنا { غفرانك ربّنا } أي: اغفر لنا وجوداتنا وصفاتنا وامحها بوجودك ووجود صفاتك { وإليك المصير } بالفناء فيك.

{ لا يكلف الله نفساً إلاّ وُسعها } لا يحملها إلاّ ما يسعها، ولا يضيق به طوقها واستعدادها من التجليات، فإن حظ كلّ أحد من الكشوف والتجليات ما يطيق به وعاء استعداده الموهوب له في الأزل من الفيض الأقدس، ولا يضيق عليه { لها ما كَسَبت } من الخيرات والعلوم والكمالات والكشوف على أيّ وجد، سواء كانت بقصدها أو لا بقصدها، فإنها من عالم النور فالخيرات كلها ذاتية لها، ترجع فائدتها إليها دون الشرور من الجهالات والرذائل والمعاصي والنقائص، فإنها أمور ظلمانية غريبة عن جوهرها فلا تضرّها ولا تلحق تبعتها بها إلا إذا كانت منجذبة إليها متوجهة بالقصد والاعتمال لتكسبها ولهذا ورد في الحديث:« إن صاحب اليمين يكتب كل حسنة تصدر عن صاحبها في الحال، وصاحب الشمال لا يكتب حتى

تمضي عليه ست ساعات، فإن استغفر فيها وتاب أو ندم، فلم يكتب، وإن أصرّ كتب « والمراد بالنفس ها هنا الذات وإلا لكان الأمر بالعكس، فيكون حينئذ معناه لا يكلفها إلا ما يسعها ويتيسر لها من الأعمال دون مدى الجهد والطاقة وذكر الكسب في موضع الخير لكونها غير معتنية به معتملة له، والاكتساب في موضع الشرّ لكونها منجذبة إليه، معتملة له بالقصد، لكونها مأوى الشرّ.

{ ربّنا لا تؤاخذنا إن نسينا } عهدك { أو أخطأنا } في العمل لما سواك، والقران على فراقك محتجبين عنك، فإنّا غرباء، بُعَدَاء، طال العهد بنا مسافرين عنك، ممتحنين في الظلمات بأنواع البلاء، ولا قدر ولا مقدار لنا في حضرتك، حتى تؤاخذنا بذنوبنا { ربنا ولا تحْمِلْ علينا إصْراً } في ذاتنا وصفاتنا وأفعالنا، فتأصرنا وتحبسنا في مكاننا مهجورين عنك، فإنه لا ثقل أثقل منها { كما حملته على الذين من قَبْلِنا } من المحتجبين بظواهر الأفعال أو بواطن الصفات { ربنا ولا تُحَملنا ما لا طاقة لنا به } من ثقل الهجران والحرمان عن وصالك، ومشاهدة جمالك، بحجب جلالك { واعْف عنا } سيئات أفعالنا وصفاتنا فإنها كلها سيئات حجبتنا عنك، وحرمتنا برد عفوك ولذة رضوانك { واغفر لنا } ذنوب وجوداتنا فإنها أكبر الكبائر كما قيل.

إذا قلت ما أذنبت قالت مجيبة وجودك ذنب لا يقاس به ذنب

{ وارْحَمنا } بالوجود الموهوب بعد الفناء { أنت مَوْلانا } ناصرنا ومتولي أمورنا { فانْصرنا } فإنّ من حق الوليّ أن ينصر من يتولاّه، أو سيدنا، ومن حقّ السيد أن ينصر عبيده { على القَوم الكَافِرِينَ } من قوى نفوسنا الأمّارة وصفاتها، وجنود شياطين أوهامنا وخيالاتنا، المحجوبين عنك، الحاجبين إيّانا بكفرها وظلمتها.